الصعوبات التي واجهت الإمبراطور برينجار الأول في حكم إيطاليا (٨٨٨- ٩٢٤م)

د/ بدران عبد الونيس محمد
مدرس تاريخ العصور الوسطى –قسم التاريخ
كلية الآداب جامعة بني سويف

ولد الإمبراطور برينجار الأول في فريولي Friuli شمال إيطاليا عام ٨٥٠م، وكان والده هو إيبرهاد ماركيز فريولي Eberhard of Friuli، ووالدته هي جيزيلا Gisela، ابنة لويس التقي الشقيقة الوحيدة لشارل الأصلع، على الرغم من وصية والده ووالدته في ٨٦٣- ٨٦٤م، باستبعاده من ميراث العائلة، إلا أن وفاة شقيقه الأكبر عام ٨٧٤م، جعلته يخلف والده في حكم تلك الدوقية منذ عام ٨٧٤حتى عام ٨٨٧م، عندما تم تتويجه ملكًا لإيطاليا بعد خلع الإمبراطور شارل السمين(١). ثم توج إمبراطورًا عام ٩١٥م حتى وفاته عام ٩٢٤م(٢).

وقد واجه برينجار مجموعة من الصعوبات الداخلية والخارجية التي أعاقت عمله ملكًا لإيطاليا في البداية، ثم إمبراطورًا ٩١٥م – ٩٢٤م، ولعل من أبرز الصعوبات التي واجهته هي: الحروب الأهلية بين عائلتي فريولي(٣) وسبوليتو(٤)، والتدخل الألماني في إيطاليا، والغزو المجري عام ٨٩٩م، وتدخل حكام بروفانس وبرجنديا العليا في إيطاليا، فهل استطاع برينجار التغلب على تلك الصعوبات وإحكام سيطرته على إيطاليا؟ أم أنه فشل في تلك المهمة؟

كان خلْع شارل السمين ووفاته عام ٨٨٨م سببًا في حدوث انهيار مفاجئ للسلطة الإمبراطورية، وانقسام العالم الكارولنجي القديم إلى العديد من الممالك الصغيرة المستقلة. مثل مملكة ألمانيا- التي انتخبت أرنولف(٥)، الذي شارك في خلع شارل السمين ملكًا عليها عام ٨٨٨م-، ومملكة فرنسا -التي انتخبت أودو(٦) Odo عام ٨٨٩م كونت باريس، الذي دافع عنها ببسالة ضد النورمان ملكًا عليها-، ومملكة بروفانس Provence (٧)- التي تولى عرشها لويس الثاني، ومملكة برجنديا العليا التي تولى حكمها رودولف الثاني Rudolph II(٨).

أما الوضع في إيطاليا- رغم نجاح تلك الممالك في انتخاب ملوكها دون حدوث أي صراع أو انقسام داخلي – فقد كان على العكس من ذلك تمامًا مليئًا بالقلاقل والاضطرابات الناتجة عن الصراع بين العائلات الأرستقراطية في سبيل العرش(٩). فأصبحت إيطاليا ساحة للصراع بين تلك العائلات التي تخطط للسيطرة عليها من ناحية، وأرضًا للنزاع بين المتنافسين الخارجيين الذين يرغبون في السيطرة عليها من ناحية أخرى(١٠).

الحروب الأهلية بين برينجار وجيدو دوق سبوليتو Guido of Spoleto(١١):

كان على إيطاليا مثل بقية الممالك الفرنجية الأخرى- نظرًا لعدم وجود وريث شرعي من الأسرة الكارولنجية على قيد الحياة عند خلع شارل السمين- البحث عن عائلة ملكية جديدة، ولسوء حظ إيطاليا سعى أكثر من أمير للحصول على العرش الإيطالي، وهما: جيدو، دوق

سبوليتو الذي حصل على دعم لمباردیا ومباركة البابوية، والآخر برينجار، حاكم فريولي. وادعى كلاهما النسب للدم الكارولنجي؛ حيث كان برينجر كما ذكرنا ابن جيزيلا، ابنة لويس التقي، بينما كانت والدة جيدو، ابنة لوثير الأول Lothair I[١٢]، وشقيقة الإمبراطور لويس الثاني[١٣].

وقد نجح برينجار وجيدو من خلال الصداقة التي تربط بينهما- وفقاً لما أورده ليدوبراند[١٤]- في تجنب الصدام والصراع بينهما في البداية، حيث اتفقا على:

- تقسيم الممتلكات الكارولنجية بينهما حيث يتولى برينجار حكم مملكة إيطاليا، في حين يتولى جيدو عرش فرنسا، لعدم وجود وريث كارولنجي للعرش هناك. وتم تأكيد ذلك من خلال قسم كل منهما بأنه: "إذا قدر لهما البقاء على قيد الحياة حتى وفاة شارل، سيدعم كل منهما الآخر من أجل أن يحصل جيدو على فرنسا، ويحصل برينجار على إيطاليا"[١٥].
- تنازل جيدو لبرينجار عن ممتلكاته في سبوليتو، في مقابل تعهد برينجار بالحفاظ عليها وإعادتها إليه في حالة فشل جيدو في الحصول على التاج الفرنسي.
- أن يبذل برينجار قصارى جهده من أجل مساندة جيدو في الحصول على العرش الفرنسي.
- السماح بعبور قوات دوق سبوليتو نحو فرنسا وعدم التعرض لها[١٦].

وبالفعل وفقًا لهذا الاتفاق المبرم بينهما، فبمجرد أن علم الطرفان بوفاة شارل السمين، لم يحضر أي منهما جنازته، وتوجها على الفور لتنفيذ ما اتفق عليه. ولذلك انعقد مجلس في مدينة بافيا في بداية عام ٨٨٨م، تم فيه انتخاب برينجار وتتويجه ملكًا لإيطاليا من قبل رئيس أساقفة ميلان[١٧]؛ أما جيدو، فاستجابة لدعوة رئيس أساقفة ريمس، وبالإضافة إلى تطلعاته السياسية بتجديد الإمبراطورية من هناك، فقد توجه على الفور بعد أن تم تتويجه ملكًا لفرنسا من قبل البابا ستيفن الخامس(٨٥٥- ٨٩١م)Stephen V -الذي كان لديه الرغبة في تنفيذ الاتفاق المبرم بين برينجار وجيدو[١٨]-إلى برجنديا، حيث تم انتخابه وتتويجه ملكًا لفرنسا في فبراير عام ٨٨٨م من قبل رئيس أساقفة ريمس[١٩].

ورغم ذلك لم يستطع جيدو السيطرة على عرش فرنسا؛ لتخلي الفرنسيون عنه بتتويج أودو ملكًا لفرنسا في ٢٩ فبراير عام ٨٨٨م(٢٠). وبالتالي لم يستطع جيدو تولي حكم فرنسا لعدة أسباب لعل أبرزها:

- تأخر وصول جيدو إلى فرنسا بعد انتخابه ملكًا في مدينة لانجر Langres، الأمر الذي دفع الأمراء والأساقفة الفرنسيين إلى الاجماع على انتخاب أودو.
- ثقة المجتمع الفرنسي في أودو الذي كان له دورًا بارزًا في صد هجوم الفيكنج على مدينة باريس.
- افتقار جيدو للروابط الأرستقراطية القوية في فرنسا، علي عكس أودو الذي تمتع بروابط ارستقراطية قوية في غرب فرنسا(٢١).

لفشل جيدو في السيطرة على فرنسا أو أي جزء من مملكة الفرنجة في الخارج، فقد أصابته الحيرة ما بين العودة إلى المملكة الإيطالية، التي وعد بها برينجار، أو الاستمرار في فرنسا، التي أدرك صعوبة السيطرة عليها. ولأنه لا يستطيع أن يسيطر على مملكة فرنسا، فقد بدأ في التفكير في غزو مملكة إيطاليا، والإطاحة بالملك برينجار(٢٢).

ووفقًا لذلك، فقد تخلى عن القسم الذي أقسمه للملك برينجار، وبدأ في إجراءات عزل برينجار من خلال عدة أساليب لعل أهمها: إثارة كونتات وسط إيطاليا ضد برينجار، والمطالبة بالتاج الإيطالي والادعاء بأحقيته فيه. والادعاء ببطلان انتخاب برينجار ملكًا لإيطاليا؛ لأنه تم تتويجه بواسطة رئيس أساقفة ميلان، الذي ليس لديه الحق في تتويج ملك إيطاليا، وإنما يعود ذلك الحق للبابا، وهو ما لم يحدث من جانب البابا(٢٣).

في ظل هذا الانقسام الذي حدث في إيطاليا، ورغم عدم ثبات حدود الجغرافيا السياسية لتلك الفترة، إلا أنه من الممكن التمييز بين تحالفين إقليميًا فيما يتعلق باختيار الملك. الحلف الأول الداعم لجيدو، ويشمل شمال غرب إيطاليا ووسطها وفرنسا، وكان المدافعون عن ذلك هم أساقفة مقاطعة ميلان، الذين كان لديهم الرغبة في الحفاظ على استقلالية المملكة من ناحية، وتأكيد سيطرة الكنيسة على الملوك من ناحية أخرى. أما الحلف الآخر الداعم لبرينجار، فقد كان يشمل شمال شرق إيطاليا وألمانيا، بما في ذلك فريولي ومقاطعة فيرونا Verona، وجميع أساقفة إكويليا Aquileia . وكان لدى هؤلاء الرغبة في ترشيح الكارولنجيين

الألمان كورثة للمملكة، استمرارًا لسياسة لويس الثاني، الذي كان يفضل تعيين الكارولنجيين الألمان كورثة له. ويبدو أن الخلفية الأيدولوجية لهذا الاختيار هي تفضيل السلطة الملكية وإمكانية جعل مملكة إيطاليا جزءًا من كوكبة الولايات التي يؤسسها الملوك الألمان بعد ذلك في شمال جبال الألب(٢٤).

وقد عبر جيدو جبال الألب على رأس جيش مكون من حلفاءه الإيطاليين والبرجنديين. ونجح بمجرد عبوره في جذب العديد من الأنصار الذين التفوا حوله، مثل ماركيز توسكان، وكونت بيرجامو، وكونت بياتشينزا، وبعض الفرنجة الذين جاؤوا لمساعدته، وأنصاره المخلصين القدامى الذين جاؤوا من سبوليتو. بالإضافة إلى بعض أنصار برينجار، الذين نجح من خلال التهديدات في جذبهم إليه، ومن أهم هؤلاء كونت ميلان. أما أبرز أنصار برينجار فكان كونت فيرونا، أحد أكثر مستشاريه الموثوق بهم، بالإضافة إلى بعض القوات الألمانية، التي جاءت لمساعدته من الخارج(٢٥). وهكذا كان برينجار مدعومًا بشكل رئيس من قبل الفصيل الألماني، في حين كان جيدو مدعوم من قبل الفصيل الفرنسي، برئاسة رئيس أساقفة ميلان، ولذلك تم انتخابه ملكًا منافسًا لبرينجار في حكم إيطاليا(٢٦).

لم يقف الملك برينجار مكتوف الأيدي أمام تحركات خصمه جيدو، التي تهدف إلى الإطاحة به من حكم إيطاليا؛ ولذلك تحرك على الفور من مدينة فيرونا، واشتبك الطرفان في معركة مسلحة بالقرب من مدينة بريشيا في نهاية أكتوبر عام ٨٨٨م، تلك المعركة التي نجح فيها برينجار بتحقيق انتصار هزيل على جيدو(٢٧). ويعلق أحد المؤرخين على تلك المعركة قائلًا: "لم يكن برينجار قادرًا على تحقيق انتصار حاسم على جيدو في تلك المعركة، ورغم ذلك ظل متسيدًا لميدان المعركة؛ لذا أرسل إليه جيدو السفراء في اليوم التالي، من أجل الحصول على إذن بدفن موتاهم البالغ عددهم عدة آلاف، وهو ما وافق عليه الملك برينجار"(٢٨).

واضطر جيدو بعد الهزيمة التي تعرض لها في المعركة الأولى على يد برينجار إلى طلب الهدنة من منافسه، الأمر الذي وافق عليه برينجار، وبالتالي تم عقد هدنة بين الطرفين حتى ٦ يناير ٨٨٩م. وكان هدف جيدو من تلك الهدنة هو كسب الوقت من أجل وصول بعض الإمدادات من فرنسا بقيادة شقيقه، التي بلغت حوالي خمسمائة جندي من المشاة وثلاثمائة فارس، كما نجح في غضون ذلك أيضًا في الحصول على تعزيزات من سبوليتو

وكاميرينو Camerino بلغت حوالي سبعة آلاف أو ثمانية آلاف جندي. بالإضافة إلى بعض القوات من توســـكانا، وعدد كبير من الفلاحين الذين تم تجنيدهم. أما برينجار فقد جمع هو الآخر أكبر عدد ممكن من الجنود، حيث انضـــم إليه ماركيز فريولي على رأس ثلاثة آلاف جندي، ودوق لمبارديا ومعه ألف وخمسمائة جندي، وكذلك عدد كبير من الميليشيات الريفية، كما سعى إلى تعزيز قواته من خلال الحصول على الدعم الألماني، ولكن فشل في الحصول على ذلك، لانشـــغال الملك الألماني أرنولف في شـــئون مملكته الداخلية من ناحية، وعزوفه مؤقتًا عن التدخل في الشأن الإيطالي من ناحية أخرى(٢٩).

وهكذا لم يكتف جيدو وبرينجار بالصراع وحالة الانقسام الداخلية التي تسببوا فيها، وإنما قاموا باستدعاء القوات الخارجية من أجل التدخل في الصراع الداخلي، سواء باستدعاء القوات الفرنســـية أو الألمانية. الأمر الذي تســـبب في تمديد فترة الحروب الأهلية من ناحية، وأثر بالســلب على إيطاليا لســنوات، وكان دافعًا للتدخل الفرنســي والألماني في الشــئون الداخلية الإيطالية من ناحية أخرى.

ولفشل الحسم في المعركة الأولى وصعوبة التوصل لاتفاق بين الطرفين، لم يبق سوى خيار الاستمرار في الصراع من أجل السيطرة على المملكة. ولم تكد تصل تلك المساعدات إلى جيدو حتى قام بخرق الهدنة وهاجم برينجار، الذي كان يعتمد على الاتفاق المبرم بينهما، ولذلك تعرض لهزيمة ســـاحقة في معركة تريبيا Trebia (٣٠)، وقد ترتب على تلك المعركة العديد من النتائج لعل أبرزها:

- هزيمة الملك برينجار وإصابته في تلك المعركة.
- احتشـــاد الأســـاقفة حول جيدو وانتخابه ملكًا لإيطاليا في بافيا في فبراير ٨٨٩م(٣١).
- تعهد جيدو في مقابل التتويج، باحترام الكنائس واعلانه الخضـــوع للكرسي البابوي خضوع الابن لأبيه(٣٢).
- تراجع برينجار إلى ما وراء نهر بو Po؛ حيث ظلت فيرونا وكريمونا وبريشيا أوفياء له، وتخلي عن الصراع مع جيدو.
- نجاح جيدو في الســيطرة على قصــر الملك في بافيا، مما مكنه من السيطرة على عاصمة المملكة(٣٣).

وفقًا لتلك النتائج فقد انحصـــرت ســـلطات برينجار الملكية التي ظلت في يديه على مقاطعته الوراثية فريولي، فاتخذ من مدينة فيرونا مقرًا له. وبالتالي أصـــبح لدينا مملكتان في إيطاليا: أحداهما في شمال شرق إيطاليا يحكمها برينجار الأول، والأخرى تضم بقية المملكة (ميلانو وبافيا وجميع الأراضي الواقعة جنوب نهر بو) يحكمها جيدو(٣٤).

ولم يكتف جيدو بعد تحقيق الانتصـار في معركة تريبيا وتعزيز موقفه في إيطاليا –وفرار خصـمه إلى مقاطعته الوراثية في فريولي– بالحصـول على لقب ملك إيطاليا فحسـب، وإنما سـعى أيضًـا للحصـول على اللقب الإمبراطوري؛ وتحقيقًا لتلك الرغبة فقد تخلي عن دوقية سبوليتو لأحد أفراد أسرته– تلك الخطوة السياسية التي نتجت في ذلك التوقيت عن الرغبة في القضـاء على أي فرصـة محتملة يمكن تؤدى إلى صـراع بينه وبين البابا (الصـراعات المحلية بين الدوقية والممتلكات البابوية)– ويُعد تنازل جيدو عن تلك الدوقية علامة بارزة على مدى فهمه للموقف والسياسة والأيديولوجية التي تخصـه، والتي هي الآن بعيدة كل البعد عن نطاق عمل دوقية ســـبوليتو. حيث لم يعد دوق ســـبوليتو، وإنما ملكًا لإيطاليا، ويتطلع إلى التتويج باللقب الإمبراطوري.

ومن الجدير بالذكر أن جيدو سعى للحصول على اللقب الإمبراطوري دون القيام بأية محاولة للقضـاء على خصـمه برينجار والسـيطرة على المنطقة التي لا زال يسـيطر عليها في الجزء الشـمالي الشـرقي من شـبه الجزيرة، وكان الدافع وراء ذلك هو: تجنب الدخول في حرب أخرى مع برينجار، ربما تكون غير مثمرة. واعتقاد جيدو بأنه في حالة تتويجه إمبراطورًا، فإن برينجار سيظل ضـعيفًا، وسيتمكن هو من تحقيق أهداف عائلته –دوقية سبوليتو– بالسـيطرة على جنوب إيطاليا، واستعادة السيطرة على فرنسا(٣٥).

وعلى الرغم من ســـعي جيدو وتقربه من البابا ســـتيفن الخامس للحصـــول على اللقب الإمبراطوري؛ إلا أن البابا لم يكن لديه الرغبة في منح ذلك اللقب لعائلة سبوليتو، لعدة أسباب أبرزها، التهديد المســـتمر للممتلكات البابوية من قبل عائلة ســـبوليتو. واعتقاد البابا أن تتويج إمبراطور من خـارج إيطـاليـا، ربمـا يوفر أمـان للبـابويـة وممتلكـاتهـا أكثر من تتويج إمبراطور إيطالي، لذلك أرســـل البابا دعوة إلى أرنولف الألماني يدعوه إلى إيطاليا. إلا أن أرنولف لم يتمكن من مغادرة ألمانيا في ذلك الوقت، الأمر الذي دفع البابا سـتيفن الخامس مضـطرًا إلى

تتويج جيدو وزوجته بالتاج الإمبراطوري في ٢١ فبراير عام ٨٩١م في كنيسة القديس بطرس(٣٦).

لم يتوقف طموح جيدو عند التتويج الإمبراطوري فقط، وإنما كان أكبر من ذلك؛ حيث تطلع إلى تأسيس أسرة حاكمة تتوارث اللقب الإمبراطوري، على غرار الأسر السابقة؛ لذلك طلب من البابا فورموزوسFormosus (٣٧) –خليفة ستيفن الخامس– تتويج ابنه كإمبراطور مشارك له في حكم الإمبراطورية، حتى يضمن وراثة العرش بعد وفاته. وهو ما حدث بالفعل في ٣٠ إبريل عام ٨٩٢م، حيث تم تتويج ابنه لامبرت من قبل البابا فورموزوس. ومع ذلك تظل إمبراطورية سبوليتو مجرد صورة كاريكاتورية شاحبة: فهي لم تشمل جميع الأراضي الإيطالية أو الإمبراطورية، وإنما شملت المناطق التي اعترفت بسلطة جيدو فقط. بينما ظلت دوقية فريولي خاضعة لحكم برينجار، كما أنه لم يتم الاعتراف بها من قبل الممالك التي خرجت من لوثرنجيا القديمة، أو من قبل ملك فرنسا، في حين كان ينتظر الملك الألماني أرنولف اللحظة المناسبة للسيطرة على اللقب الإمبراطوري، وإعادة الإمبراطورية مرة أخرى(٣٨).

لم يُقدر لجيدو البقاء على قيد الحياة طويلًا بعد الحصول على اللقب الإمبراطوري عام ٨٩٢م، حيث توفي فجأة في نوفمبر عام ٨٩٤م، بسبب حمى أو جلطة دماغية، ودفن في كاتدرائية بارماParma(٣٩) الأمر الذي رفع من حظوظ الملك برينجار مرة أخرى، فنجح في السيطرة على العاصمة، ومارس وظائفه الملكية كاملة(٤٠).

في الحقيقة، لم تنته الحرب الأهلية بين العائلتين بموت جيدو لعدة أسباب أهمها، خوف الأتباع والمؤيدين لعائلة سبوليتو من انتقام برينجار بسبب الظلم الذي تعرض له من قبلهم، بالإضافة إلى رغبة الإيطاليين في وجود أكثر من ملك في نفس الوقت، للتمكن من التلاعب بهما، وتحقيق أقصى استفادة ممكنة من كل منهما، نتيجة خوف كل منهما من الآخر. ولذلك تم تعيين لامبرت ابن جيدو خلفًا لوالده ملكًا لإيطاليا.

وبمجرد تعيين لامبرت ملكًا، بدأ الأنصار بالالتفاف حوله والتخلي عن برينجار الذي لم يجد أمام هذا الأمر نتيجة لقلة القوات الداعمة له إلا الفرار مرة أخرى إلى فيرونا. ولكن بعد وقت قصير، وبسبب صرامة لامبرت، أصبح النبلاء يعتبرونه مرهقًا لهم، وتواصلوا مرة أخرى مع برينجار في فيرونا، للمجيء إليهم وتخليصهم من لامبرت(٤١).

على عكس المرحلة الأولى من الصراع بين عائلتي سبوليتو وفريولي، لم يلجأ الطرفان للصراع المسلح من أجل إنهاء الانقسام، وإنما لجأوا في البداية للمفاوضات من أجل التوصل إلى حل سلمي يرضي الطرفين. ولعل الدافع وراء ذلك هو تعرض البلاد في ذلك الوقت لخطر التدخل والغزو الخارجي من قبل الملك الألماني أرنولف؛ ولذلك جرت مفاوضات بين لامبرت وبرينجار بالقرب من بافيا في عام ٨٩٦م، تم على إثرها الاتفاق بين الطرفين على تقسيم المملكة بين الطرفين. ووفقًا لما ذكره أحد المؤرخين، فإنه بالمقارنة مع الوضع بعد معركة تريبيا، فقد تم نقل الحدود تجاه الغرب، ولذلك ظلت بيرجامو من مناطق نفوذ برينجار(٤٢).

لم يتخل لامبرت – بعد أن توصل لاتفاق مع الملك برينجار يقضي بتقسيم المملكة بين الطرفين من ناحية، والتخلص من التدخل الألماني بعد عودة أرنولف إلى ألمانيا من ناحية أخرى– عن مشروع والده بتأسيس سلالة حاكمة للإمبراطورية في عائلة سبوليتو، لذلك أتجه على الفور إلى روما، وسيطر عليها مرة أخرى بعد طرد القوات الألمانية من هناك، ولذلك تم تتويجه إمبراطورًا في ٤ إبريل عام ٨٩٦م.

ورغم نجاح لامبرت في إحياء إمبراطورية سبوليتو مرة أخرى، فإنها لم يكن مقدرًا لها أن تستمر طويلًا، وذلك بسبب وفاة الإمبراطور لامبرت في مارينجو ١٥ أكتوبر عام ٨٩٨م(٤٣). وهكذا وللمرة الثانية يعود برينجار مرة أخرى كملك وحيد لإيطاليا، ليس من خلال الانتصار على خصمه، والنجاح في التخلص منه، وإنما من خلال وفاة خصمه المفاجئة. التي تتيح له ممارسة سلطاته الملكية كاملة.

في الحقيقة تعددت روايات المؤرخين عن أسباب وفاة الإمبراطور لامبرت المفاجئة، فهناك من يُرجع سبب الوفاة إلى سقوط الملك أثناء رحلة للصيد بالقرب من مارينجو من على ظهر الحصان(٤٤)، أما ليدوبراند فلا يستبعد المؤامرة والقتل سببًا لوفاة لأمبرت، وهو ما عبر عنه قائلًا: "هل استهدف هذا الصيد الحيوانات البرية أم الملوك، لأنهم يرون أنه بينما كان يلاحق لامبرت الخنازير، سقط وكسرت رقبته. في الواقع أود أن أقول إنه من العبث تصديق هذا الادعاء، لأن هناك رواية أخرى عن وفاة ذلك الرجل وهي بالنسبة لي الأرجح، وينقلها جميع فئات الشعب"، ويذكر ليدوبراند روايته عن سبب الوفاة قائلًا: " وهكذا، بانصراف الجميع، لم يتذكر الحارث، هيو، الخائن والقاتل، المزايا العديدة الممنوحة له، ولم يعد يفكر في

شيء سوى الانتقام لوالده، متخليًا في ذلك عن اليمين التي أقسمها للملك. وقام بضرب الملك بعصا كبيرة أدت إلى كسر عنقه. ولم يلجأ هيو لقتل الملك بالسيف حتى لا ينكشف أمره، ورتب كل شيء من أجل إثبات أن الوفاة حدثت نتيجة السقوط من على الحصان، الأمر الذي أدى إلى كسر عنقه، تلك الحقيقة التي أخفاها لسنوات، ولم يظهرها إلا بعد سيطرة برينجار على المملكة"(٤٥).

والثابت أن تلك الوفاة قد وجهت ضربة كبيرة للسلطة الملكية في شمال إيطاليا، والمملكة الإيطالية في القرن العاشر الميلادي. لعدة أسباب لعل أهمها: عدم وجود وريث للامبرت في عائلة سبوليتو، واستعادة برينجار للتاج الملكي دون صعوبة ودون منازعة أحد. وعدم قدرة برينجار على الدفاع عن شبه الجزيرة من الغزوات التي ستنطلق في فجر القرن العاشر الميلادي. وضعف موارد برينجار؛ حيث تقع ممتلكاته في أقصى الشمال الشرقي في فريولي. وليس مثل منطقة لامبرت في الوسط. ولم يحظ برينجار –مثل لامبرت– بدعم مجموعة كبيرة من النبلاء والأساقفة العظماء الذين شكلوا المصدر الحقيقي للسلطة في إيطاليا(٤٦).

في الحقيقة لم تقتصر النتائج التي ترتيبت على الوفاة المفاجئة للامبرت على ذلك فقط، وإنما فتحت الطريق أمام برينجار لإطلاق سراح جميع السجناء الذين أسرهم لامبرت، بالإضافة إلى أن وفاة لامبرت دون ورثة ذكور لوراثته أنهي الصراع والعداء الطويل بين عائلتي برينجار وجيدو بانتصار الأول. بالإضافة إلى استعادة برينجار السلطة الملكية كاملة على المملكة للمرة الأولى منذ عام ٨٨٨م(٤٧).

والتساؤل الآن هو لماذا نشبت الحرب الأهلية في ذلك التوقيت بين الأمراء الإيطاليين؟ في الحقيقة تعددت الأسباب التي أدت إلى نشوب الحروب الأهلية الإيطالية في نهاية القرن التاسع وبداية القرن العاشر الميلادي أبرزها:

- غياب الشرعية الكارولنجية وانتهاء فترة حكم الكارولنجيين، الأمر الذي أدى إلى وجود عدد كبير من الرجال المرشحين ذوي عائلات ارستقراطية قوية على استعداد للوقوف بجانبهم من أجل تولى حكم إيطاليا.
- ظهور الأرستقراطيات الوراثية القوية في المجتمع الإيطالي، التي تتجمع خلف أحد أمرائها وتدعمه من أجل تحقيق مزيد من المكاسب، وخاصة في عصر لم تعد تحقق فيه ثرواتها من خدمة الملوك.

- ضعف مؤسسات الحكم: رغم وجود الإرادة والطاقة اللازمة للحكم لدى الملوك، فلم يكن لديهم مؤسسات قوية ودائمة لتحقيق ذلك(٤٨).
- ميل العائلات الأرستقراطية إلى بسط سلطتها وتحقيق أقصى استفادة من إدارة شئون الدولة(٤٩).
- المساواة في النسب والسلطة بين المتنازعين زاد من الخلاف بينهم، ولم يكن أي منهم يفوق الآخرين بحيث يستطيع إخضاعهم لسلطته(٥٠).
- كان لدوافع الكراهية الشخصية إلى جانب الطموح في العرش الإيطالي دور كبير في الصراع بين برينجار وجيدو(٥١).

لكل هذه الأسباب اندلعت حرب أهلية استمرت لعدة عقود كان بطلها الحقيقي والعامل المشترك فيها هو برينجار الأول؛ وفي الحقيقة ترتبت العديد من النتائج لتلك الحروب في إيطاليا، أهمها:

- دمرت المنازعات السلالية، وبخاصة الحادة في شبه الجزيرة في النصف الأول من القرن العاشر السلطة الملكية تمامًا. وقامت في كل مكان سلطات محلية مستقلة استقلالًا يكاد يكون تامًا.
- تألفت إقطاعية كنسية قوية وخاصة في لمبارديا. واستطاع الأساقفة، في ظل الفوضى والاضطراب، بعد وفاة شارل السمين، بفضل نفوذهم على الشعب وازدياده بسبب الغارات الهنغارية والحروب الأهلية، أن ينتزعوا من المطالبين بالسلطة والمتنازعين على التاج امتيازات هامة أمنت لهم سلطة زمنية واسعة على المدن التي يديرونها روحيًا. وكان الأسقف في كثير من المدن يجبي الإتاوات التي كانت في السابق تغذي الخزانة الملكية، وبحجة الدفاع عن البلاد ضد الغزاة بنى الأسقف قصرًا يساعده على نمو سلطته المادية.
- لم يكن لملك إيطاليا – الذي أصبحت سلطته اسمية في شمال شبه الجزيرة ووسطها– ما يدفعه إلى فرض نفوذه على روما والمناطق المجاورة؛ فمنذ سقوط الإمبراطورية الكارولنجية سيطر على روما مجموعة من الأرستقراطية الرومانية التي استبدت بالأمر وأخذت تلعب بالكرسي البابوي كما تشاء(٥٢).

- حدوث تغيير في البناء الاجتماعي لإيطاليا كلها؛ حيث دفعت حالة الفوضى والارتباك في المجال الزراعي العديد من صغار الملاك إلى طلب المساعدة من كبار الملاك وتسليم أراضيهم في مقابل الحصول على حق الحماية. الأمر الذي أدي إلى زيادة عدد المستأجرين التابعين وانخفاض عدد ملاك الأراضي المستقلين. هذه التغييرات التي أفقدت الملك ومسئوليه عادة تجنيد جميع مواطني المملكة الأحرار للجيش، ولجأوا إلى دعوة التابعين وكبار ملاك الأراضي لتجنيد عدد من الرجال(٥٣).

- أصبحت الدوائر الحكومية في إيطاليا أكثر انقسامًا. ولم يستطع الملوك الاعتماد على قاعدة من الدعم المطلق- حتى لو سيطروا على معظم إيطاليا- وكان عليهم تقديم مزيد من التنازلات. وكل ما نعرفه عن الأنشطة الفعلية لأي من هؤلاء الملوك خلال الحروب الأهلية، هو الامتيازات التي منحوها لأتباعهم التي تتضمن تنازلات عن الأرض والحقوق القانونية لمؤيديهم العلمانيين والكنسيين. ووصلت هذه إلى ذروتها في سنوات الحكم المنفرد لبرينجار الأول(٥٤).

هكذا تخلص الملك برينجار الأول من عبء الحروب الأهلية، نتيجة للوفاة المفاجئة للملك لامبرت، وعدم وجود وريث شرعي له في حكم دوقية سبوليتو، وبالتالي تم الاعتراف به ملكًا لإيطاليا من قبل سبوليتو. ورغم ذلك لم تستتب الأمور لبرينجار في حكم إيطاليا، وواجه العديد من الصعوبات من أجل تثبيت أركان حكمه؛ إذ بدأت فترة من حالات الاستدعاء والتدخل الخارجي لم تنته بوفاة برينجار الأول عام ٩٢٤م، وإنما استمرت لسنوات بعد وفاته.

التدخل الألماني في إيطاليا:

بعد أن نجح الملك الألماني أرنولف في القضاء على بعض الثورات التي قامت بها العناصر السلافية التابعة له في الشرق دفعه طموحه ورغبته في أن يصبح إمبراطورًا أن يزج بنفسه في السياسة الإيطالية، مما ترك أسوأ الأثر بالنسبة لتاريخ ألمانيا في العصور الوسطى. ذلك أن إيطاليا كانت عندئذ ميدانًا للتنافس بين بعض الأمراء، مما أتاح فرصة لتدخل أرنولف في شئونها، وبخاصة عندما اشتد النزاع بين برينجار وجيدو حول حكم إيطاليا(٥٥).

وبالبحث عن الأسباب التي دفعت الملك الألماني أرنولف إلى التدخل في إيطاليا، نجد أنها أسباب بعضها يتعلق بالملك الألماني نفسه، وبعضها يتعلق بالبابا والأمراء الإيطاليين، أبرزها: –

- لجوء الملك الإيطالي برينجار الأول المهزوم في معركة تريبيا إلى الملك أرنولف، لمساعدته ضد جيدو، اعتقادًا منه أن وجود ملك قوي مثل أرنولف في إيطاليا كان ضروريًا لتحقيق السلام في شبه الجزيرة، وكبح طموح عائلة سبوليتو، بالإضافة إلى وقف تقدم المسلمين والإغريق في إيطاليا(٥٦).
- استدعاء البابا فورموزوس للملك الألماني اعتقادًا منه أن وجود إمبراطور إيطالي يمثل خطرًا على الكرسي الرسولي من ناحية، بالإضافة إلى تعرض الممتلكات البابوية في إيطاليا إلى مضايقات مستمرة من قبل أتباع سبوليتو، الذين انتهكوا حدود الدولة الكنسية وصادروا بعض ممتلكاتها التي تنتمي إلى ميراث القديس بطرس من ناحية أخرى(٥٧).
- أتاح الصراع القائم بين كل من برينجار وجيدو على اللقب الإمبراطوري الفرصة أمام الملك أرنولف للتدخل في شئون إيطاليا(٥٨).
- حُلم أرنولف وطموحه بأن يصبح إمبراطورًا(٥٩).

في الحقيقة تعددت محاولات استدعاء الملك الإيطالي برينجار الملك الألماني أرنولف؛ لمساعدته في مواجهة خصمه جيدو. وكان الاستدعاء الأول، بعد أن توصل برينجار وجيدو– كما سبق أن ذكرنا– إلى عقد هدنة بين الطرفين عام ٨٨٩م؛ حيث لجأ برينجار إلى أرنولف من أجل دعمه بالقوات اللازمة لمواجهة جيدو، ولكن نظرًا لإنشغال أرنولف بشئونه الداخلية، فلم يستطع التدخل في ذلك التوقيت في إيطاليا. أما الاستدعاء الثاني، فكان بعد هزيمة برينجار في معركة تريبيا، وبالتحديد عندما التقى الملكان في ترينتو Trento(٦٠) في ديسمبر عام ٨٩٣م. وفي تلك المقابلة، ووفقًا لما ذكرته حوليات فولدا اعترف برينجار بسيادة الملك أرنولف واعدًا إياه بأن يكون مؤيدًا ومخلصًا له، في مقابل الاحتفاظ بالمملكة التي يسيطر عليها(٦١).

لم تقتصر رسائل استدعاء الملك الألماني إلى إيطاليا على برينجار فقط، وإنما كان للبابا فورموزوس نصيب فيها أيضًا؛ حيث أرسل البابا السفراء في خريف عام ٨٩٣م إلى مدينة

ريجينسبورج لمقابلة الملك أرنولف تلك السفارة التي كانت تضم بعض اللوردات العلمانيين العظماء– ربما جزءًا من سفارة برينجار– الذين أعربوا عن أسفهم على مصير المملكة وتراث القديس بطرس، وطلبوا منه تحريرهم من جيدو. وبالفعل استقبلهم الملك بحفاوة في مدينة ريجينسبورج، وسمح لهم بالعودة محملين بالهدايا بعد الموافقة على طلبهم(٦٢). وبذلك بذل البابا فورموزوس أقصى ما لديه في عام ٨٩٣م من أجل مجيء الملك أرنولف إلى إيطاليا(٦٣).

ولم يستطع الملك الألماني أن يغض الطْرف كثيرًا عن تلك الدعوات المتكررة للتدخل في الشئون الإيطالية سواء من البابا أو برينجار، ومما ساعده على ذلك، تمتع ألمانيا بفترة من السلام النسبي بعد نجاحه في القضاء على المشاكل الداخلية والخارجية التي كانت تواجهه هناك. ولكنه لم يَقُدْ تلك الحملة بنفسه، وإنما عهد إلى ابنه زوينتبولد Zwentibold بقيادتها، وكلفه بمهمة استعادة النظام في إيطاليا ومساعدة برينجار ضد دوق سبوليتو.

وبالفعل خرج الأمير زوينتبولد على رأس الجيش الألماني متجهًا نحو إيطاليا، وما أن علم جيدو بقرب وصول القوات الألمانية هرب إلى مدينة بافيا وحصن نفسه هناك، ولم يحاول خصومه الاستفادة من ذلك الهروب؛ حيث تقاعس زوينتبولد فجأة عن مواصلة التقدم نحو جيدو لمدة ثلاثة أسابيع، وبعد ذلك نتيجة للخوف أو نجاح جيدو في رشوته –وفقًا لما ذكر ليدوبراند :"حصل على كميات من الفضة من جيدو"– تراجع إلى ألمانيا دون أن يحقق أي شيء من الأهداف التي جاء من أجلها(٦٤).

ولفشل الحملة الألمانية الأولى في تحقيق أهدافها المتمثلة في القضاء على جيدو دوق سبوليتو، فقد تم التواصل مرة أخرى بين بيرنجار وأرنولف، واعدًا إياه بوضع نفسه وإيطاليا تحت سلطته، إذا ساعده في القضاء على خصومه. تلك الوعود التي نجحت بالفعل في جذب الملك الألماني مرة أخرى. ولكن في هذه الحملة قاد الملك أرنولف الجيش الألماني بنفسه وتوجه نحو إيطاليا في يناير عام ٨٩٤م؛ حيث انضم له برينجار في مدينة فيرونا، وهناك حمل برينجار درع أرنولف من أجل تأكيد وعود التبعية السابقة التي قطعها على نفسه(٦٥).

توجه الملك الألماني بعد أن تم الترحيب به في فيرونا على الفور باتجاه مدينة بيرجامو، التي كانت تابعه لجيدو، التي قاومت الملك والقوات الألمانية مقاومة شديدة، ولذلك فرض عليها الحصار ورغم شدة مقاومتها للحصار المفروض عليها، إلا أن القوات الألمانية نجحت في اقتحامها، والقبض على حاكمها وإعدامه، وأسر زوجته والكنوز التي معها، والقبض على

أسقف المدينة. وتسبب انتشار قسوة معاملة الألمان للشعب البيرجامي في جميع إيطاليا في حدوث حالة من الرعب العام في إيطاليا؛ لذلك توافد أنصار جيدو، وكونتات وأساقفة وأدواق لمبارديا في حشود أمام أرنولف، وأقسموا له يمين الولاء والإخلاص؛ ولذلك استسلمت لمبارديا بالكامل للملك أرنولف في فترة قصيرة (٦٦).

وقد بث اقتحام بيرجامو الرعب في إيطاليا، وظل في ذاكرة الشعب الإيطالي لفترة طويلة. وكالعادة لم يجرؤ الملك جيدو على مواجهة القوات الألمانية أو التصدي لها، فهرب هذه المرة إلى دوقية سبوليتو، متخليًا عن ممتلكاته في شمال إيطاليا(٦٧). في حين تقدم الملك الألماني حتى وصل إلى مدينة بياتشينزا مارس ٨٩٤م (٦٨).

تراجع الملك الألماني أرنولف بعد أن تم تتويجه ملكًا على إيطاليا في مدينة ميلان إلى ألمانيا مرة أخرى، دون أن يكمل مسيرته إلى مدينة روما والحصول على التاج الإمبراطوري، ولا تزال أسباب هذا التراجع غامضة، ويرجعها مؤرخ حوليات فولدا إلى انتشار الأمراض في القوات الألمانية، في حين يشير بعض المؤرخين إلى أن السبب في ذلك التراجع هو الإرهاق الذي أصاب الجيش الألماني خلال تلك الحملة الشتوية من ناحية، وصعوبة عبور جبال الإبنين التي يسيطر عليها أدالبرت الثاني، ماركيز توسكانا، المعادي لأرنولف من ناحية أخرى. ولذلك تم تأجيل السفر إلى روما، وعاد أرنولف إلى ألمانيا في ربيع عام ٨٩٤م(٦٩).

في الحقيقة لم يترتب على اقتحام أرنولف القصير لإيطاليا نتائج ملموسة؛ حيث ظل جيدو إمبراطورًا وكان على وشك استئناف الصراع ضد برينجار عندما توفي فجأة في عام ٨٩٤م. ذلك الحدث الذي كان مقدرًا له تغيير طبيعة الحرب؛ حيث اعترف برينجار بالتبعية للملك أرنولف، واعترف أرنولف ببرينجار ملكًا لإيطاليا، وكانت وفاة جيدو وصغر سن ابنه، نذيرًا بتعافي برينجار من خسائره، ولكن أرنولف لم يأت إلى إيطاليا لمنح مملكة من الممكن الاحتفاظ بها لشخص آخر (٧٠).

لم تتغير الظروف في روما بشكل جوهري بالموت المفاجئ لجيدو أو طاغية إيطاليا كما يطلق عليه المؤرخون الألمان؛ حيث سارع لامبرت ابن جيدو إلى مدينة روما لتأكيد تتويجه بالتاج الإمبراطوري، وبالفعل تم تتويجه من قبل البابا فورموزوس رسميًا. وبذلت الإمبراطورة أجيلترود أرملة جيدو جهودًا ضخمة لتقوية حزب ابنها. رغم إعلان البابا استعداده لحماية

لامبرت؛ إلا أنه أرسل المبعوثين إلى أرنولف مرة أخرى؛ من أجل دعوته إلى روما على وجه السرعة(٧١).

بناء على إصرار البابا فورموزوس وإلحاحه، وافق الملك الألماني مرة أخرى –بعد الأخذ بنصيحة الأساقفة الألمان– على مطالب البابا بالتدخل في الشأن الإيطالي وأرسل على الفور الجيش الألماني مرة أخرى في شهر أكتوبر إلى إيطاليا، وقد سار ذلك الجيش حتى وصل إلى ما وراء نهر بو، وهناك انقسم إلى قسمين: قسم يتكون من الألمان وكُلف بالذهاب من بولونيا إلى مدينة فلورنسا، بينما قاد هو القسم الثاني وسار مع الفرنجة عبر الجزء الشمالي من جبال الابنين باتجاه مدينة روما(٧٢).

ولحسن حظ الملك الألماني، كانت إيطاليا مقسمة لعدد من الأقاليم آنذاك (قوات روما، وفريولي، وسبوليتو، وتوسكانا)، ولم يكن لأي منها القدرة على مواجهة الجيش الألماني بشكل منفرد؛ ولذلك كان لابد من تحالفها معًا من أجل التصدي له، لكنه كان من الصعب أن تتلاقى مصالح حكام تلك البلاد، حتى في مواجهة الخطر الخارجي؛ الأمر الذي سهل من مهمة الملك الألماني وتقدمه باتجاه مدينة روما وفرض الحصار عليها(٧٣).

رغم ذلك عانى الجيش الألماني كثيرًا في إيطاليا بسبب العواصف العنيفة والأمطار الغزيرة والفيضانات التي أدت إلى مقتل العديد من الخيول؛ بالإضافة إلى وصول أنباء إلى أرنولف مفادها انشقاق برينجار وَحَنثه بالقسم الذي اقسمه له، وتعاونه مع أدالبرت ماركيز توسكانا من أجل التصدي له، وأخيرًا قيام أرملة جيدو بإغلاق جميع الأبواب حول مدينة روما، وغلق كنيسة القديس بطرس أمام الجميع(٧٤).

ورغم تلك الصعوبات التي واجهت أرنولف قبل الوصول إلى مدينة روما؛ إلا أنه كان هناك مجموعة من العوامل التي دفعته إلى اقتحام المدينة والوصول لحلم التتويج الإمبراطوري؛ لعل أهمها:

- تخلى الملك لامبرت عن الدفاع عن روما، وسعيه للدفاع عن سبوليتو فقط.
- اندلاع ثورة كبيرة داخل المدينة، وأسر البابا من قبل أنصار عائلة سبوليتو.

شـــجعت هذه الأخبار الملك أرنولف على فرض الحصـــار على مدينة روما واقتحامها، وتحرير البابا من الأســـر. كانت هذه هي المرة الأولى التي يتم فيها اقتحام المدينة المقدســـة، والتاج الإمبراطوري بقوة السلاح الألماني(٧٥).

يروي لنا مؤرخ حوليات فولدا اقتحام أرنولف لمدينة روما وتتويجه إمبراطورًا قائلًا: "تم اقتحام أقوى المدن وأكثرها نبلًا بالقرب من نهاية اليوم، ولم يقتل الكثير من جيش الملك، كما تم تحرير البابا والمدينة من أعدائها، أما بالنسبة لأعضاء مجلس الشيوخ واليونانيين فقد عبروا جســر ملفيان واســتقبلوا الملك بالترتيل والبهجة ورافقوه إلى المدينة، واســتقبل البابا الملك أمام خطوات القديس بطرس... وتم تتويجه إمبراطورًا في ٢٢ فبراير ٨٩٦م. وفقًا للتقاليد المتبعة مع أســلافه بمنحه التتويج الإمبراطوري بوضــع التاج على رأســه ودعوته قيصــر وأغســطس". دعا البابا الشـــعب الروماني إلى القدوم إلى كنيســـة القديس بولس من أجل أن يُقْسِـــمُوا يمين الولاء والإخلاص للإمبراطور. "لقد قررنا" قال البابا: "أن نقيم اليمين هنا خشـية أن يجهلها أي شـخص". وكان نص القسـم الذي أقسـمه الرومان لأرنولف كالتالي: "أقسـم بكل أسـرار الله أن أحافظ على شـــرفي وشـــريعتي وإخلاصـــي للبابا فورموزوس، وســـوف أكون رجلًا مخلصًـــا للإمبراطور طوال حياتي، ولن أتحالف مع أي شخص ضده، ولن أقدم أي مساعدة للامبرت، أو والدته نهائيًا من أجل مســاعدتهم في الحصــول على أي شــرف علماني، ولن أســلم مدينة روما إلى لامبرت أو والدته، أو رجالهم من خلال أي نوع من الحيل أو المراوغة". يُظْهِرُ لنا هذا القســـم بوضـــوح أن طاعة الرومان للإمبراطور تأتي في المرتبة الثانية بعد طاعتهم للبابا(٧٦).

وبعد نجاح أرنولف في الســيطرة على روما والحصـــول على التاج الإمبراطوري، هربت الإمبراطورة أجيلترود- بعد أن تخلي الرومان عن الســـلاح- من روما إلى ســـبوليتو يرافقها بعض القوات المناصرة لها، وظل أرنولف بعد ذلك في مدينة روما لمدة خمسة عشر يومًا من أجل ترتيب الأحوال الداخلية، وتم تعيين فارولد أحد رجاله، حاكمًا على المدينة وتوجه هو باتجاه سبوليتو من أجل القضاء على لامبرت ووالدته(٧٧).

لم يستطع أرنولف الوصول إلى مدينة سبوليتو بسبب المرض الذي أصابه خلال مسيرته تجاهها، وتعددت روايات المؤرخين عن ذلك المرض؛ فهناك من يقول إنه أصـــيب بالشـــلل، ومنهم من يقول إنه أصــيب بمرض شــديد في رأســه. غير أن هناك رواية أقرب للخيال منها

للحقيقة تذكر بأن سبب الانسحاب هو لجوء الإمبراطورة أجيلترود –التي وجدت نفسها غير قادرة على التصدي لعدوها بالقوة العسكرية– إلى الحيلة من خلال وضع السم له في الطعام. أيًا كان الأمر الذي أعاق أرنولف عن اقتحام سبوليتو، فقد تم التخلي عن خططه التوسعية، وأصبح لا يهتم إلا باستعادة صحته؛ متخيلًا أن هواء المانيا الذي اعتاد عليه سوف يساعده على الشفاء؛ لذلك سارع بعبور جبال الألب، والانسحاب إلى بافاريا حيث توفي في ٢٩ نوفمبر ٨٩٩م، وخلفه ابنه لويس في حكم ألمانيا(٧٨).

وبعد رحيل أرنولف عن إيطاليا عاد لامبرت مرة أخرى إلى ممارسة سلطته الملكية من بافيا –كما سيطر على ميلان على الرغم من مقاومة مانفريد الكونت الذي عينه أرنولف حاكمًا عليها– بدأ الصراع مرة أخرى مع برينجار. لكن سرعان ما اتفق الطرفان على معاهدة (كما سبق أن ذكرنا) تضمن لبرينجار حكم المنطقة الواقعة شمال نهر بو وشرق أدا(٧٩). ولحسن حظ إيطاليا؛ توفى لامبرت بعد ثمانية عشر شهرًا نتيجة سقوطه من على ظهر حصانه، وسرعان ما اعترفت والدته بالملك برينجار ملكًا لإيطاليا دون تقديم أي مطالب نيابة عن حفيدها الصغير، ابن لامبرت(٨٠).

وخلاصة القول: كانت سلطة أرنولف في إيطاليا ضعيفة للغاية؛ حيث لم تتوقف المعارضة والمقاومة ضده؛ فقد حاول أرنولف القضاء على بعض المناوئين له في إيطاليا؛ إلا أنه أصيب بمرض انسحب على إثره من هناك، كما أنه أجلى جيوشه عن إيطاليا دون أن يحصل على فائدة من مشروعه التوسعي(٨١). وبالتالي أضاع الملك الألماني وقته وجهده في مغامرة لم يحقق منها أكثر من مجرد لقب شرفي حظي به من قبل البابا فقط، في حين لم يحظ بأي شيء آخر.

هكذا وضع أرنولف أساس سابقة خطيرة أمام حكام ألمانيا الذين وزعوا جهودهم بين ألمانيا وإيطاليا دون أن يحصلوا على أية فائدة من وراء التدخل في شئون إيطاليا سوى إضعاف نفوذهم في ألمانيا وبعثرة قواهم؛ فعلى الرغم من الجهود الضخمة التي بذلها ملوك ألمانيا للسيطرة على إيطاليا؛ إلا أن نفوذهم لم يكن فعليًا إلا في حالة وصول الملك الألماني على رأس جيشه إلى إيطاليا، فيما عدا ذلك سرعان ما تقلص ذلك النفوذ وتلاشى بعودة الألمان إلى بلادهم. ذلك أن البابوية والنبلاء والمدن عارضت جميعًا قيام أية سلطة سياسية قوية في إيطاليا؛ ومن ثم فشل الأباطرة الألمان في الربط بين ألمانيا وإيطاليا سياسيًا في ظل

تاجهم، في الوقت الذي صرفتهم شئون إيطاليا عن تدعيم نفوذهم في ألمانيا ذاتها، ومهما يكن من أمرٍ فإن الانقسامات والأفكار التي تعرضت لها ألمانيا في عهد أرنولف وخلفائه المباشرين أدت إلى ترك إيطاليا وشأنها دون تدخل ألمانيا لمدة ستين سنة(٨٢).

الغزو الهنغاري لإيطاليا ٨٩٩م(٨٣):

أغار المجريون من موطنهم الجديد في ربيع سنة ٨٩٩م على إيطاليا عن طريق إكويليا وفيرونا حتى وصولوا إلى بافيا. وقد كثرت الأسباب التي دفعتهم لمهاجمة إيطاليا في ذلك التوقيت أبرزها:

- دعوة الملك الألماني أرنولف لهم بالتدخل في إيطاليا؛ وذلك نتيجة لرغبة الملك أرنولف في فرض سيطرته على الجزء الشمالي من إيطاليا من ناحية، والقضاء على سلطة الملك الإيطالي برينجار؛ خاصة بعد أن أصبح ملكًا وحيدًا لإيطاليا بعد وفاة الملك لامبرت في عام ٨٩٨م، من ناحية أخرى. ولخبرة أرنولف الجيدة مع المجريين في وقت سابق؛ فقد أرسل سفارة إلى بلاط زعيم المجر يطلب منه المساعدة في هزيمة الملك الإيطالي برينجار والقضاء عليه في مقابل وعد بتسليم بانونيا لهم، ومن أجل تنفيذ تلك المهمة قام أرنولف بإمداد المجريين بالمال والملابس اللازمة لذلك(٨٤).
- ضعف إيطاليا نتيجة المشاكل الداخلية التي غرقت فيها إيطاليا منذ وفاة شارل السمين(٨٥).
- شجعت استعانة أرنولف بالمجريين في حربه ضد مورافيا المجريين على التعدي على أراضي الإمبراطورية، ودلهم على طرق مورافيا وألمانيا جميعًا(٨٦).

لم يجد المجريون في اجتياحهم لإيطاليا عام ٨٩٩م أي مقاومة تذكر حتى وصلوا إلى بانونيا. وهنا كان على الملك الإيطالي برينجار، ضرورة التصدي لهم والدفاع عن إيطاليا. ولضعف قواته وعدم قدرتها على التصدي لهم بشكل منفرد، وجه نداءً إلى كل سكان لمبارديا وتوسكانا وسبوليتو يدعوهم للكفاح ضد الغزو المجري، وبالفعل استجاب الإيطاليون لدعوة برينجار، ونجح من خلال ذلك في تكوين جيش كبير بلغ تعداده حوالي ثلاثة أضعاف جيش الغزاة(٨٧).

تحرك برينجار على رأس الجيش الإيطالي باتجاه المجريين، واستطاع هزيمتهم بمجرد الاشتباك معهم بالقرب من بانونيا، وإجبارهم على التراجع إلى خلف نهر أدا؛ ولذلك تحصن المجريون نتيجة لعدم تأمين غنائمهم بما فيه الكفاية في برينتيا؛ الأمر الذي عَرَّضهم لمضايقات مستمرة من قبل قوات برينجار(٨٨).

خوفًا من التعرض لهزيمة أخرى، وخسائر متتالية قد تَلْحَقُ بهم على يد قوات برينجار عرض المجريون بعد عبور نهر أدا السلام على الملك الإيطالي متعهدين بالإفراج عن الأسرى الذين بحوزتهم والغنائم، وعدم العودة مرة أخرى إلى إيطاليا؛ شريطة عدم مضايقاتهم الأمر الذي قوبل بالرفض من قبل الملك برينجار المغرور في قواته، والراغب في تحقيق مجد شخصي لنفسه، بوصفه الملك الذي استطاع إبادة هذه الأمة(٨٩).

لذلك لم يجد المجريون أمام هذا الرفض المتكرر من برينجار للسلام، سوى تحقيق الانتصار أو القتال حتى الموت؛ لذلك قاموا بقتل جميع الأسرى، واستئناف هجومهم مرة أخرى بشكل مفاجئ على قوات برينجار على ضفاف نهر برينتيا في ٢٥ سبتمبر ٨٩٩م، ونجحوا في هزيمة قوات برينجار في تلك المعركة هزيمة ساحقة، ووفقًا لما ذكره مؤرخ حوليات فولدا قُتِل حوالي عشرون ألف رجل في تلك المعركة. وتجول المجريون بكل حرية في إيطاليا من ضفاف برينتيا إلى ضفاف بو، كما قاموا بأعمال سلب ونهب، وحرق في كل قرى المنطقة ومدنها. ونسبت هذه الكارثة وعواقبها المروعة بشكل عام إلى برينجار؛ الأمر الذي أدى إلى تزايد سخط الأمراء والشعب الإيطالي واحتقاره له(٩٠).

في الحقيقة ترتبت العديد من النتائج على تلك الهزيمة التي عانى منها برينجار لعل أبرزها، تدمير العديد من المدن والقرى الإيطالية، وهروب السكان إلى الجبال(٩١). ولجوء سكان المدن إلى تحصين المدن والأديرة في شمال إيطاليا(٩٢) أمضت القوات الهنغارية بعد تحقيق الانتصار في عام ٨٩٩م فصل الشتاء في إيطاليا، تلك الخطوة التي تم تفسيرها من قبل بعض المؤرخين على أنها جزء من الاستعدادات المخطط لها من قبل المجريين لغزو بانونيا.

لم يتوقف التوغل المجري لإيطاليا على هجوم عام ٨٩٩م، ولكن انتصارهم على الإيطاليين شجعهم على تكرار الهجوم عليها مرة أخرى. وهو ما حدث عام ٩٠٤م، عندما نجحوا في اقتحام إيطاليا مرة أخرى، وقضوا شتاء ٩٠٤/٩٠٥م في إيطاليا. ولم يجد الملك

برينجار في ذلك الوقت وسيلة لإخراجهم من إيطاليا، إلا من خلال الدخول في تحالف معهم، بحيث أصبحوا حلفاء له، ودفع فدية كبيرة لهم(٩٣).

وبذلك نستطيع القول بأن إنهاء برينجار للصعوبات التي سببها له المجريون لم يكن من خلال الانتصار عليهم عسكريًا، وإنما من خلال شراء مسالمتهم بدفع الأموال. الأمر الذي سبب له متاعب أخرى، نتيجة لاستياء الأمراء والشعب الإيطالي من حالة الضعف والانهيار التي عانى منها أمام الغزو المجري.

استدعاء لويس بروفانس إلى إيطاليا ٩٠٠/ ٩٠٥م(٩٤):

رغم نجاح برينجار في وقف الهجمات المجرية على إيطاليا بالتحالف معهم عام ٩٠٥م، فإن هزيمة برينتيا عام ٨٩٩م، ترتب عليها العديد من النتائج في إيطاليا، لعل أبرزها تزايد السخط العام في إيطاليا ضد برينجار الأول، الأمر الذي دفع الأمراء والارستقراطيين الإيطاليين إلى التمرد ضده، واستدعاء للتدخل الخارجي مرة أخرى إلى إيطاليا من أجل القضاء عليه.

ومن الأسباب التي ذكرها المؤرخون لانتفاضة الإيطاليين ضد برينجار في ذلك التوقيت ما يلي:

- استياء كونت بالاتين ورئيس أساقفة ميلان من برينجار.
- المزاج المتقلب لأسياد شبة الجزيرة.
- العداء القديم بين أنصار جيدو سبوليتو وكرههم لأنصار برينجار، ذلك العداء الذي تجلى في استدعاء لويس بروفانس إلى إيطاليا.
- القاعدة السياسية التي سادت إيطاليا في تلك الفترة، والتي عبر عنها ليدوبراند، قائلًا: "أن يكون لديهم دائمًا ملكان في كل مرة لاحتواء أحدهما خوفًا من الآخر"(٩٥).

نتيجة لذلك تمرد أقطاب الشمال الغربي في إيطاليا بقيادة ماركيز توسكانا، وماركيز إيفريا –الذي ينتمي لعائلة برجندية تم تعيينها هناك من قبل الملك جيدو– ضد برينجار. ولم يبحث الأمراء الإيطاليون في تلك المرحلة عن ملك إيطالي، وإنما تم استدعاء أمير خارجي مرة أخرى، وهو حفيد الإمبراطور لويس الثاني. ولعل الدافع وراء ذلك الاختيار هو أن استدعاء حفيد إمبراطور مشهور من نسل كارولنجي ربما يبرر إدعاءاته الواضحة بالشرعية،

وينجح في كسب عدد كبير من النبلاء والأساقفة بجانبه، ولذلك تم استدعاء لويس بروفانس، بعد أن أدت الهزيمة الكبيرة التي تعرض لها برينجار على يد المجريين إلى إزالة أكبر عائق في طريقه(٩٦).

يعلق المؤرخ Flishe على دعوة لويس إلى إيطاليا قائلًا: "لا نعرف سبب دعوة الإيطاليين للويس. هل يجب النظر إليها باعتبارها دليل على التعلق بالسلالة الكارولنجية، التي جاء منها لويس؟، أم هي بسبب فشل حكومة برينجار التي لم تنجح في القضاء على الأثار الضارة للغزو المجري؟ في الحقيقة، لا يسمح لنا صمت النصوص بأي فرضية في هذا الصدد. وما هو مؤكد هو أنه في عام ٩٠٠م كان لا يزال لويس في فيينا، عندما تلقى دعوة من اللوردات الإيطاليين بعبور جبال الألب، وبمجرد عبور ممرات جبال الألب، تولى حليفه ماركيز إيفريا مسئولية الدفاع عنه. ووصل إلى مدينة بافيا في ١١ أكتوبر. وفي اليوم التالي الموافق ١٢ أكتوبر تم تتويجه ملكًا لإيطاليا. الأمر الذي علَّق عليه لويس في وثائقه قائلًا: "أن انتخابه تم من جميع الأساقفة والماركيزات والكونتات". وذهب من بافيا على الفور إلى مدينة روما. ووصل إليها في نهاية يناير أو بداية شهر فبراير، وسط حضور جماهيري كبير من الكونتات والأساقفة. وتم تتويجه إمبراطورا باستلام التاج الإمبراطوري من البابا بنديكت الرابع في ١٥ فبراير".

من الجدير بالذكر أنه رغم تتويج لويس إمبراطورًا على يد البابا، فإنه لم ينجح في السيطرة على كامل شبه الجزيرة الإيطالية. ولم يتم الاعتراف بسلطته ملكًا لإيطاليا إلا في إيفريا، ولمبارديا، وتوسكانا، وروما. أما ما يتعلق بالجزء الجنوبي من إيطاليا، فليس هناك أي دليل على امتداد سلطته عليه، كما أنه لم يتم الاعتراف بسلطة لويس في البلدان الواقعة شرق أديجي وما يقابل فريولي. تلك المنطقة التي كان برينجار لا يزال يسيطر عليها في خريف ٩٠١م(٩٧).

أقام الإمبراطور لويس أثناء وجوده في إيطاليا في مدينة بافيا. تلك المدينة التي أقام فيها الملوك الإيطاليين، والتي كانت بمثابة المقر الملكي للملوك. وأخر وثيقة تم الاحتفاظ بها من عهد لويس خلال حملته الأولى على إيطاليا كانت بتاريخ ١٢ مايو ٩٠٢م. ولكن نجح برينجار في ١٧ يونيو من نفس العام في استعادة السيطرة مرة أخرى على إيطاليا(٩٨).

أجبر الإمبراطور برينجار لويس على العودة مرة أخرى إلى بروفانس، بعد أن أقسم له على عدم العودة مجددًا إلى إيطاليا، وعدم عبور جبال الألب، في مقابل العبور والعودة الآمنة إلى بروفانس. ومن أهم الأسباب التي أدت إلى فشل حملة لويس الأولي على إيطاليا، ووفقًا لما ذكره بعض المؤرخين عدم قدرة لويس على مواجهة برينجار، وبالتالي لم يكن هناك صدام مسلح بين الطرفين، وتقلب الأمراء الإيطاليون، الذين فضلوا ملكين للتنافس على أحدهما ضد الآخر. ووفقًا لرواية ليدوبراند، فقد نجح برينجار من خلال استخدام الوعود في استعادة أقوى أنصار لويس في إيطاليا وهو ماركيز توسكانا(٩٩).

لم تستتب الأمور لبرينجار في إيطاليا طويلًا بعد مغادرة لويس بروفانس؛ نظرًا لتذمر ماركيز توسكانا والأمراء الإيطاليين ضده مرة خرى. وبناء على ذلك، وجه الماركيز نصيحة للأمراء الإيطاليون بضرورة استدعاء لويس بروفانس مرة أخرى. وهو ما حدث بالفعل، إذ أرسل الأمراء الإيطاليين إلى لويس بروفانس يطالبونه بالعودة مجددًا إلى إيطاليا(١٠٠). ولذلك عندما أدرك لويس أن أعداء برينجار كانوا على استعداد للوقوف بجانبه ضد برينجار، وافق على دعوتهم، والحنث باليمين التي أقسم عليها قبل ذلك، وعبر الحدود وسار باتجاه مدينة فيرونا(١٠١).

بمجرد عبور الملك لويس الحدود الإيطالية مرة أخرى، كان برينجار مريضًا أو تظاهر بذلك، وكما هو الحال كلما تعرض لخطر داخلي أو خارجي يهدده، انسحب إلى مدينة فيرونا. في حين تقدم خصمه ووصل إلى مدينة بافيا. ورغم مقاومة برينجار لخصمه بمساعدة مجموعة من الأنصار الإيطاليين الذين وقفوا بجانبه ودعموه، اضطر في النهاية إلى التخلي عن فيرونا(١٠٢).

نجح لويس بعد هروب برينجار وتخليه عن مدينة فيرونا في الحصول على تأييد لمبارديا، باستثناء منطقة فريولي. وتم تتويجه ملكًا لإيطاليا في مدينة ميلان، وكان للبابا بنديكت الرابع، دور كبير في استقدام لويس وحثه على القدوم إلى روما. وكانت أهم الأسباب التي دفعت البابا وشجعته على دعوة لويس إلى إيطالياهي:

- رؤية البابا للملك برينجار بوصفه شخصًا ضعيفًا لا يستطيع التصدي للأعداء الذين يهاجوا إيطاليا عن طريق البر أو البحر.

- رغبة البابا في أن يكون للمبارديا أمير قادر على طرد المسلمين والتصدي لهجماتهم.
- اعتقاد بنديكت بأن لويس يستطيع من خلال توحيد الجيوش التي سوف يجلبها معه من فرنسا، مع تلك التي يمكن أن توفرها له إيطاليا، القضاء على الوجود الإسلامي في إيطاليا(١٠٣).

وفقًا لذلك حث البابا الإمبراطور لويس على الاستعداد للقيام بحملة عسكرية ضد المسلمين في جنوب إيطاليا. ومن أجل الإعداد لتلك الحملة والترتيب لها. قام لويس بزيارة كافة المدن الإيطالية بما في ذلك مدينة لوكا، مقر إقامة أمراء سبوليتو. وحدث أثناء تلك الزيارة ما لم يكن متوقعًا، حيث أبدى لويس طمعه في ثروات عائلة سبوليتو بعد أن رأى فخامتها قائلًا: "إن مثل هذه الروعة يجب أن تكون لملك بدلًا من دوق". تلك العبارة التي بمجرد نقلها إلى حكام سبوليتو- وخوفًا على ثرواتهم من لويس- عزموا على الفور على ضرورة اتخاذ كافة التدابير اللازمة لإجبار لويس على مغادرة إيطاليا والعودة إلى فرنسا.

لم تقتصر متاعب لويس في إيطاليا على ذلك فقط، بل أسهمت الشائعات أو المؤامرات في نجاح مشاريع برينجار ضده وإفشاله في السيطرة على إيطاليا. ومن أبرز الشائعات التي انتشرت في ذلك التوقيت في مدينة فيرونا، مقر إقامة لويس، إما عن طريق الصدفة أو المؤامرة هي شائعة وفاة بيرنجار ملك إيطاليا. الأمر الذي بعث الطمأنينة في نفس لويس، ودفعه إلى توزيع الجنود المرافقين له في القلعة على سائر المدن الإيطالية، في نفس الوقت الذي كان يدير فيه أنصار برينجار وماركيز توسكانا مؤامرة كبيرة للقضاء على تواجد لويس في إيطاليا(١٠٤).

وهكذا في حين أطمئن لويس للمؤامرة التي دبرت ضده، التي لم يكن على علم بها، وصل برينجار إلى مدينة فيرونا في يونيو ٩٠٥م يرافقه بعض اللوردات البافاريين والإيطاليين المخلصين له، دون أن يشك الإمبراطور في نهجه. وبمجرد وصوله إلى هناك فتح له بعض رعاياه أبواب المدينة ليلًا. ودخل البافاريون والإيطاليون، وقبل أن يتمكن لويس من الدفاع عن نفسه، تم القبض عليه، واقتياده أمام برينجار الذي صاح فيه قائلًا: "إلى أي مدي تنوي استغلال صبرنا، يا لويس؟ هل يمكنك أن تنكر تلك المناسبة في الماضي عندما لا تستطيع التحرك، ونتيجة للشفقة تركتك تذهب؟ ألا تشعر كما قلت، بأنك مقيد بشهادة زور؟ لقد أكدت

لي بشكل واضح أنك لن تدخل إيطاليا أبدًا. لن أقتلك، كما وعدت الجندي الذي كشف لي عنك، ومع ذلك سوف أفقع عينيك"(١٠٥). وهكذا نجح برينجار في القضاء على لويس وسمل عينيه، وإعادته إلى وطنه، بعد أن قضى على أي أمل له في مغامرة إيطالية مستقبلية. أما بالنسبة لأولئك الذين أحاطوا بلويس، فيظل مصيرهم غير معروف. وربما تم إعدام البعض منهم، ومصادرة ممتلكات المتمردين(١٠٦).

عاد لويس إلى بروفانس في ٢٦ أكتوبر عام ٩٠٥م، ولقب بلويس الأعمى، وهو اللقب الذي عرف به في التاريخ(١٠٧). أما برينجار فقد مُنع من الحصول على التاج الإمبراطوري، على الأقل بسبب الحقوق القانونية لعمي لويس، والصراعات المستمرة مع المجريين، وأخيرًا من قبل الأرستقراطيين في مدينة روما، الذين لم يعد لديهم الرغبة في تتويج إمبراطور آخر(١٠٨).

لم يكد يتخلص برينجار من أثار تدخل لويس بروفانس في إيطاليا، حتى تعرضت إيطاليا مرة أخرى، لغزو من قبل المجريين. ولم يجد الملك برينجار وسيلة يستطيع من خلالها القضاء على الخطر المجري، إلا من خلال شراءهم بالمال، والتنازل لهم عن عدد كبير من العبيد، استولوا عليه ورفضوا التخلي عنه(١٠٩).

استدعاء رودولف الثاني البرجندي ونهاية برينجار.

نجح برينجار في القضاء على خصومه في إيطاليا بالقضاء على لويس بروفانس، ولم يعد هناك أحد يزاحمه على حكم إيطاليا. ولكن كان بإمكان أدالبرت ماركيز توسكانا وزوجته أحداث قلاقل له؛ لذلك لم يستطع الذهاب إلى روما على الإطلاق من أجل منحه التاج الإمبراطوري إلا بعد وفاة أدالبرت وتولى ابنه الذي كان مسالمًا، شئون توسكانا، وخضوعه لبرينجار. وبالتالي استفاد برينجار من فترة الهدوء هذه في تتويجه إمبراطورًا على يد البابا عام ٩١٥م(١١٠). وهكذا نجح برينجار أخيرًا في الحصول على التاج الإمبراطوري الذي كان يسعى للحصول عليه منذ تتويجه ملكًا لإيطاليا عام ٨٨٨م(١١١).

نجح برينجار بالانتصار على لويس بروفانس عام ٩٠٥م، في وضع حد للتدخلات الخارجية في إيطاليا في الفترة من عام ٩٠٥م حتى عام ٩٢٣م، وتمتع بفترة من السلام نجح –في خلالها– في تحقيق الكثير من النجاحات أبرزها تعزيز سلطته من ناحية، والحصول على التاج الإمبراطوري عام ٩١٥م من ناحية أخرى(١١٢).

وكالعادة لا يتحمل أي بابا أن يرى وجود إمبراطور إيطالي قوي يستطيع أن يزاحم النفوذ البابوي، وقد يتفوق عليه؛ لذلك سعى البابا حنا العاشر – الذي توج برينجار إمبراطورًا في عام ٩١٥م– إلى التأثير على ماركيزات توسكانا وإيفريا ولمبارديا، من أجل التمرد ضد الإمبراطور برينجار، ولم يكتف بتلك المؤامرة فقط، وإنما اتبع السياسة البابوية المتكررة باستمرار لطلب مساعدة الأجانب من خلال توجيه دعوة للملك البرجندي رودلف الثاني بالتدخل في إيطاليا(١١٣).

وقد تزامنت دعوة البابا لرودولف الثاني ملك برجنديا العليا للتدخل في الشأن الإيطالي ضد برينجار، مع اندلاع تمرد بين الأمراء الإيطاليين ضد برينجار برئاسة ماركيز إيفريا، ومشاركة حكام توسكانا ولمبارديا وبيرجامو. إذ كانت رغبة هؤلاء الأمراء في تحقيق مصالحهم الشخصية أهم من الحفاظ على الوطن؛ لذلك تم استدعاء التدخل الخارجي مرة أخرى إلى إيطاليا، رغبة منهم في التخلص من سيد عن طريق سيد آخر. وبالتالي كان الأمراء والأساقفة الإيطاليون مرة أخرى هم من باعوا بلادهم، ووطنهم للغريب.

وفي الحقيقة لم تُظهر لنا حوليات أي دولة من الدول الأوربية في تلك الفترة عن سياسة كارثية للغاية مثل السياسة التي أتبعتها إيطاليا خلال قرون عديدة. وإذا كان لا يمكن إنكار التفضيل البابوي للانقسام الإيطالي، فلم يكن الباباوات وحدهم المذنبين دائمًا. بل على العكس من ذلك يجب الاعتراف صراحة بأنه خلال فترة طويلة كانت البابوية هي القوة الوحيدة في إيطاليا القادرة على حمايتها من مخاطر كثيرة(١١٤).

ومما زاد الأمور اشتعالًا ضد برينجار – أنه حدث خلال عام ٩٢٠م أو عام ٩٢١م– أنه أهان كونت بالاتين، بسبب تمرده ضده. وكان كونت بالاتين تابع لبرينجار، وتلقى منه العديد من الألقاب مثل ماركيز وكونت بالاتين، وتمتع بالعديد من المزايا مع الملك حتى خريف عام ٩٢٠م على الأقل، الأمر الذي جعله يجد في التغيير المفاجئ أمرًا شاذًا، ومهما كان الأمر، فقد تحرك برينجار ضده على الفور وأسره، وعهد إلى رئيس أساقفة ميلانو برعايته، أما عن أسباب تمرد رئيس أساقفة ميلان، فقد أرجعها ليدوبراند إلى طلب برينجار من رئيس أساقفة ميلان، شراء الدعم الملكي في وقت انتخابه لرئاسة أساقفة ميلان؛ لذلك تحالف رئيس الأساقفة مع الأسير الذي تحت سيطرته، وماركيز إيفريا، وكونت بيرجامو، ودخلوا في مفاوضات مع الملك البرجندي(١١٥).

في البداية بدأ المتمردون في تجميع قواتهم على جانب بريشـــيا بالقرب من معاقل كونت بيرجامو، وقطعوا الاتصـالات بين فريولي، مركز المؤيدين المخلصـين لبرينجار، وعاصـمتها بافيا. وحاول برينجار التخلص منهم من خلال الاسـتفادة من العصـابات المجرية الذين أقاموا بشـكل دائم في إيطاليا بعد التحالف الذي عقد بينهم عام ٩٠٥م، وحافظوا على علاقات ودية مع برينجار لســـنوات عديدة. وبالفعل هاجم المجريون المتمردون، وقُتل كونت بالاتين في المعركة، وتم أسـر كونت توسـكانا وكونت بيرجامو من قبل الغزاة، وتم تسـليم كونت بيرجامو للإمبراطور بعد أن تم تجريده من ملابسـه. أما كونت توسـكانا فقد نجح في الفرار، ورغبة في أن يكون للرأفة في التعامل مع الأسـرى دور في اسـتعادة ولاء المتمردين، أصـدر الإمبراطور عفوًا عن كونت بيرجامو، لكن هذا الكونت الناكر للجميل سـرعان ما عاد إلى شـمال إيطاليا واستأنف مشاريعه الخاصة بدعوة ملك برجنديا(١١٦).

وبـالفعل بعـث الأمراء الإيطـاليون المتمردون في نهـايـة عـام ٩٢١م أو في بـدايـة عـام ٩٢٢م، كونت بيرجـامو، نيابـة عنهم إلى رودولف البرجنـدي من أجل المجيء إلى إيطـاليـا، وعرضوا عليه تاج إيطاليا(١١٧).

وقد تعددت الأسباب التي دفعت الملك البرجندي رودولف الثاني إلى قبول عرض الأمراء الإيطاليين، والاستجابة لدعوتهم بالسير تجاه إيطاليا، أهمها:

- كان عرض تاج إيطاليا على رودولف عرضًا مغريًا.
- صـلابة العلاقة بين برجنديا العليا ولمبارديا، رغم فصـل جبال الألب بينهما.
- كان العديد من النبلاء الأقوياء في ســهل لمبارديا، ولاســيمًا ماركيز إيفريا، على اتصال شخصي مع الملك رودولف.

ونتيجة لذلك اسـتجاب رودولف للدعوة التي قدمها الأمراء الإيطاليون، وسـار مباشـرة إلى مدينـة بافيا عاصـــمـة مملكة لمبارديا، حيث دخل المدينـة، وتم الاعتراف بـه وتتويجـه ملكًا لإيطاليا في ٤ فبراير ٩٢٢م (١١٨)، من قبل اللوردات والأســاقفة الذين أقســموا له على يمين الولاء والتبعية. وعلى الرغم من ذلك اسـتمر برينجار قادرًا على ممارسـة سـلطاته الملكية في فيرونا وفي البلدان المجاورة لفريولي، ولم يفكر رودولف في ملاحقته(١١٩).

هكذا انقسمت المملكة الإيطالية للمرة الأخيرة في عهد برينجار إلى قسمين: قسم يفضل رودولف، وقسم يفضل برينجار(١٢٠). ولم يجد برينجار خيارًا أمامه سوى الاستنجاد بالمجريين عام ٩٢٢م من أجل محاربة رودولف وإخراجه من إيطاليا، وبتلك الخطوة أصاب الملك برينجار بلاده بالخراب، لأن المجريين الذين تدفقوا إلى إيطاليا، قاموا بأعمال السلب والنهب والتدمير خلال مسيرتهم، كما قاموا بإشعال النيران في مدينة بافيا نفسها. الأمر الذي تسبب في إضعاف قوات برينجار قبل الصدام المسلح مع رودولف(١٢١).

ونتيجة لذلك نجح الملك البرجندي رودولف الثاني في أول صدام مسلح بين الطرفين في تحقيق الانتصار على برينجار في معركة دموية في معركة فيورينزولا في ١٧ يوليو ٩٢٣م، تلك المعركة التي ترتب عليها نتائج عديدة، أبرزها:

- قتل حوالي ١٥٠٠ رجل في تلك المعركة، الأمر الذي أدى إلى استنزاف الطبقة العسكرية في المملكة.
- فرار برينجار إلى ملاذه الشهير في فيرونا.
- نجاح رودولف في إخضاع إيطاليا فعليًا لحكمه.

على عكس المتوقع، جاء رودولف مسرعًا إلى بافيا، وبعد أن جمع حوله الجميع طلب منهم العودة إلى مملكته القديمة برجنديا، وهو ما وافق عليه الأمراء بالفعل، لذلك لم يحصل رودولف –رغم تتويجه ملكًا واعتراف الأمراء به– على التتويج الإمبراطوري، بسبب مغادرته لإيطاليا(١٢٢).

لجأ برينجار بعد الهزيمة في المعركة –كما ذكرنا– إلى مدينة فيرونا، حيث اغُتيل غدرًا في ٧ أبريل عام ٩٢٤م أمام كنيسة القصر وهو ذاهب للصلاة. ويسرد لنا المؤرخ ليدوبراند رواية قتل برينجار قائلًا: "استدعي برينجار في اليوم السابق لوفاته حارسه لامبرت قائلًا له:" إذا لم يكن لدي العديد من الأسباب العادلة لأحبك، فمن الممكن أن أصدق ما يقال عنك. أنهم يدعون أنك تخطط لقتلي، ولكني لا أصدقهم. وأريدك أن تتذكر دائمًا التقدم الكبير في المنصب والثروة، والذي لم يكن بإمكانك الوصول إليه إلا من خلال نعمتي عليك، ولذلك يجب أن تحافظ على هذه الروح تجاهنا، حتى أطمئن على حبك وإخلاصك".... وظل الملك في تلك الليلة، كالمعتاد في كوخ صغير لطيف للغاية بالقرب من الكنيسة، وليس في القصر الذي من السهل الدفاع عنه، ولم يستعن بالحراس في تلك الليلة، ولم يتوقع الخيانة. ولذلك

تقدم لامبرت ومعه مجموعة كبيرة لقتل الملك، الذي لم ينم بعد، ولم يكن يعلم بمخططهم، ولذلك لم يشك في أي شيء عند رؤية المسلحين، وأسرع ليرى ما يحدث، حيث رأى مجموعة مسلحة من الجنود. ولذلك دعا لامبرت قائلًا: "ما هذه المجموعة يا رجل؟ ماذا يريد هؤلاء الرجال المسلحون؟". رد لامبرت قائلًا: "هذه المجموعة لا تريد قتلك، ولكنها ترغب في القتال مع هذا الفصيل الذي يسعى لقتلك". الأمر الذي خدع الملك، ولذلك سارع إلى اللجوء وسطهم، ومن ثم تم القبض عليه وقتله بالسيف". وهكذا أنهى هذا الرجل حياة الملك الإيطالي الثالث والأخير الذي ارتدى التاج الإمبراطوري أيضًا. وظل العرش الإمبراطوري بوفاته شاغرًا لمدة سبعة وثلاثين عامًا(١٢٣).

وصفوة القول كان النصف الأول من حكم برينجار غير مستقر تمامًا، تميز بالنفي في بعض الأحيان، وأحيانًا بالانسحاب بحكم الواقع إلى فيرونا ودوقية فريولي التي لم يفقد السيطرة عليها أبدًا، وأحيانًا أخرى بتقسيم الأرض، مثلما حدث مع لامبرت عام ٨٩٦م. الأمر الذي أثر على لغة الوثائق والتنازلات التي قدمها برينجار لأتباعه، بين التأكيد على الشرعية المتنازع عليها، والتعبير في بعض الأحيان عن القلق بشأن المستقبل القريب، والاحتفال بالانتصارات العابرة(١٢٤).وفي النهاية نستطيع القول بأن مبعث المعاناة الإيطالية في نهاية القرن التاسع وبداية القرن العاشر الميلادي لم يكن مبعثها عامل واحد فقط؛ وإنما شارك في حدوثها كلٌ من برينجار بضعف شخصيته، وعدم قدرته على مواجهة الخصوم، وفشله في إحكام سيطرته على إيطاليا منذ عام ٨٨٨م حتى عام ٩٢٤م. كما ساهم الأمراء والأرستقراطيون الإيطاليون أيضًا في تلك المعاناة، من خلال انتخاب ملكين في نفس التوقيت، ومناصرة أحدهما ضد الآخر من ناحية، واستدعاءهم للملوك الخارجيين من أجل التدخل في الشأن الإيطالي من ناحية أخرى. كما كان للبابوية دورًا أيضًا في المعاناة التي عانت منها إيطاليا في تلك الفترة، نتيجة للسياسة البابوية المتكررة في ذلك الوقت باستدعاء الملوك الخارجيين إلى إيطاليا، ودعوتهم للتدخل في شئونها الداخلية، مثل استدعاء البابا فورموزوس للملك الألماني أرنولف للتدخل في إيطاليا أكثر من مرة. وهي نفس السياسة المتبعة من قبل البابا حنا العاشر الذي استدعى الملك البرجندي رودولف الثاني للتدخل في الشئون الداخلية لإيطاليا.

(١) شارل السمين: تم تتويجه إمبراطورً عام ٨٨١م، ونجح في عام ٨٨٥م في توحيد العالم الكارولنجي للمرة الأولى منذ عام ٨٤٣م. ولكن هذا الهيكل الشاسع كان مفككًا وثبت أنه لا يمكن السيطرة عليه. ونظرًا لفشل شارل المسئولية الملقاة على عاتقه من ناحية، وفشله في التصدي لهجمات النورمان والفيكينج من ناحية أخرى، تمت الإطاحة به من العرش عام ٨٨٧م.

Cf: Annales Weissemburg, In MGH, Tom. 3, Hannover, 1839, p. 51, Lambererti Annales, In MGH, Tom. 3, Hannover, 1839, p. 51. Gregorovius (F): History of the city of Rome in the middle Ages, Vol. 3, 1895, p. 211.

محمد محمد مرسي الشيخ: تاريخ أوربا في العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ص ٣٢٣- ٣٢٤.

(2) The Annals of Fulda, Ninth-Century Histories, Vol 2, trans by Timothy Renter, New York, 1992, p. 107., Panegyricus Berengarii Imperatoris, in MGH, Tom. 4, edited by Pertz (G.), Hannover, 1841, p. 189., Dummler (E.): Gesta Berengarii Imperatoris, Halle, 1871, p. 13., The annals of St-Bertin: Ninth-century histories, Vol. I, translated and annotated by Janet L. Nelson, New York, p. 188., Arnaldi (G.): Berengario I, duca-marchese del Friuli, re d'Italia, imperatore, Dizionario Biografico degli Italiani, Volume 9, 1967, p. 1.

(٣) ماركيزية فريولي: نشأت ماركيزية فريولي بين ليفينزا Livenza وإيزونزو Isonzo من أجل التصدي لهجمات السلاف والآفار. وقد تم تعيين الكونت إيبرهارد – زوج جيزيلا، الابنة الصغرى للويس التقي – من قبل الإمبراطور لوثار لحكم منطقة فريولي. ولعب إيبرهارد دورًا كبيرًا في الحروب ضد الصرب، وخلفه على العرش ابنه برينجار، الذي قدر له أن يلعب دورًا كبيرًا في السياسية الإيطالية في نهاية القرن التاسع الميلادي.

Cf: Poupardin: The Carolingian Kingdoms (840-877), in C. M. H, Vol. 3, edited by Bury, Cambridge, 1922, p. 47.

(٤) عائلة سبوليتو: جاءت عائلة سبوليتو من وادي موسيل Moselle في النصف الثاني من القرن التاسع واستوطنت إيطاليا بفضل عقود الزواج التي عقدتها وأحسنت اختيارها، وبفضل سياستها القوية الحازمة. وكانت تنحدر من جيدو، كونت بريتاني Brittany تحت حكم لويس التقي. وكان ابنه لامبرت الذي حمل نفس اللقب، من أتباع لوثار المخلصين، تم نفيه إلى إيطاليا، وتوفي هناك. ابن لامبرت هذا جيدو، والذي ظهر كأول دوق فرنجي لمنطقة سبوليتو، حاول التدخل في الحروب التي اندلعت بين الأمراء اللمبارديين، نجح من خلالها في إضافة مدن جديدة لدوقيته مثل مدينة سورا Sora وأتينو Atino. توفي عام ٨٥٨م، خلفه ابنه لامبرت، الذي اتبع سياسة ملتوية مع لويس الثاني، تارة حليفة، وتارة أخرى يحارب ضده بشكل علني، أو هارب في بينفينتو، حتى انه تم حرمانه مؤقتًا من دوقيته. ولم يستطيع العودة إليها مرة أخرى إلا بعد وفاة الإمبراطور لويس، وتولى الإمبراطور شارل الأصلع.

Cf: Poupardin The Carolingian Kingdoms pp. 47- 48.

(٥) أرنولف: خليفة شارل السمين في ألمانيا، وهو الابن غير الشرعي لكارلومان، شقيق شارل. ويُعد أهم حكام ألمانيا من البيت الكارولنجي في أواخر القرن التاسع. وقد امتاز حكمه بالحيوية والقوة، حتى استطاعت ألمانيا في تلك الفترة

التغلب على أعدائها في الشمال والشرق، فضلًا عن حصولها على نوع من الزعامة بين بقية الدول المسيحية في غرب أوربا. وكان طموح آرنولف ورغبته في أن يصبح إمبراطورًا، هو الذي دفعه أن يزج بنفسه في السياسة الإيطالية.

, in MGH, Tom, 3, Hannover,1839, p. 51., Mann (H. K): The Lives of the popes in the early middle ages, Vol 4 (891- 999), 1910, p. 46., Hassall (A): Germany in the early middle Ages 476- 1250, London, 1908, p. 67.

سعيد عاشور: أوربا في العصور الوسطى، الجزء الأول، التاريخ السياسي، ط ٧، القاهرة، ١٩٧٨م، ص ص ٢٧٧-٢٧٨.، نيفين ظافر: الأوضاع الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية في الغرب الأوروبي من القرن التاسع حتى القرن الحادي عشر الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآداب، الجامعة الإسلامية بغزة، ٢٠١١م، ص ٦٧.

(٦) أودو: كونت باريس تم انتخابه ملكًا لفرنسا عند عزل شارل السمين عام ٨٨٧م. على أنه يبدو أن ذكرى شارلمان وعظمته ظلت تدفع المعاصرين إلى الإخلاص للبيت الكارولنجي والتمسك بهذا البيت، الأمر الذي أثار نزاعًا طويلًا- استمر قرنًا من الزمان- بين البيت الكارولنجي والبيت الباريسي حول الاستئثار بحكم فرنسا.

للمزيد انظر: سعيد عبد الفتاح عاشور: أوربا في العصور الوسطى، ص ٢٣٧.

(٧) لويس: تم تتويج لويس، ابن بوسو وإيرمنغاردErmengard ، ملكًا لبروفانس في فالنسيا بموافقة أرنولف وموافقة البابا ستيفن الخامس في خريف عام ٨٩٠م. ويبدو أن دعم أرنولف للويس كان موجهًا ضد رودولف الثاني ملك برجنديا العليا. Cf: The Annals of Fulda, p. 120.

(٨) رودولف الثاني: ملك برجنديا في الفترة من ٩١٢- ٩٣٧م، خلف والده رودولف الأول في حكم مملكة برجنديا العليا عام ٩١٢م. وعاصر حكم رودولف لبرجنديا فترة دمرت فيها الغارات المجرية المتكررة المنطقة. ولم تكن معاركه الأساسية ضد المجريين، بل كانت جزءًا من سياسة توسعية، واستمرارًا لمحاولات والده في توسيع ممتلكات برجنديا العليا. الأمر الذي دفعه إلى التحرك إلى إيطاليا في عام ٩٢٢م، حيث تم تتويجه ملكًا في مدينة بافيا في ٩٢٢م. وتوفي في عام ٩٣٧م.

Cf: Bouchard (C. B.): Burgundy and Provence, 879- 1032, in N. C. M. H., vol. 3, edited by Reuter, Cambridge, 1999, p.p. 340- 341.

(9) Annales Vedastini 886- 888, in MGH, Tom. 2, Hannover, 1829, p. 203., (F): History of the city of Rome in the middle ages, Vol. 3, 1895, p.p. 211- 212., Falconieri (T. D.): Guido, conte marchese di Camerino, duca marchese di Spoleto, re d'Italia, imperatore, Dizionario Biografico degli Italiani, Volume 61, 2004, p. 356., Villari: Medieval Italy: From Charlemagne to Henry VII, London, 1910, pp. 44- 45.

نور الدين حاطوم: نور الدين حاطوم: تاريخ العصر الوسيط في أوربة، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٢م، ص ص ٢٣١، ٢٣٦- ٢٣٧.

(10) Hassall: Germany in the early middle Ages, p.p. 65- 66., Moore (M. E) and Others: The Body of Pope Formosus, in The Book of Disquiet, Composed by Bernardo Soares, trans. A. Mac Adam, Boston, 1998, p. 281.

(١١) جيدو: ولد جيدو عام ٨٥٥م. وكان والده هو جيدو الأول دوق سبوليتو، ووالدته هي إيتا Itta من بينفينتو. تزوج من أجيلترود، ابنة أمير بينفينتو، والتي أنجب منها ابنه لامبرت عام ٨٨٠م. وكان هذا الزواج هو جزء من سياسة التحالفات السياسية مع العائلات الجنوبية التي دمجت في ذلك الوقت في بيت سبوليتو. تلك السياسة التي سُهلت بسبب السياسة الإيطالية الضعيفة للإمبراطور الجديد في السيطرة على جنوب إيطاليا. تولى جيدو حكم كاميرينو عام ٨٨٠م، ودوقية سبوليتو عام ٨٨٣م، ثم انتخب ملكًا لإيطاليا عام ٨٨٨م، وتم تتويجه إمبراطورًا على يد البابا ستيفن الخامس عام ٨٨٩م. وتوفى فجأة عام ٨٩٦م.

Cf: Falconieri (T. D. C.): Guido, conte marchese di Camerino, duca marchese di Spoleto, re d'Italia, imperatore, Dizionario Biografico degli Italiani, Volume 61, 2004. p. 35.

(١٢) لوثير الأول: ابن الإمبراطور لويس الأول ووريثه في حكم الإمبراطورية الكارولنجية. تم تعيينه زميلًا لوالده ووريثًا له في اللقب الإمبراطوري عام ٨١٧م. وتم تتويجه من قبل البابا في روما عام ٨٢٣م. وتولى حكم الإمبراطورية في الفترة من ٨٤٠م حتى عام ٨٥٥م.

Cf: William Bridgwater and other: The Columbia Encyclopedia, New York, 1950, p. 1159.

(13) Oman (C.): The Dark Ages, 476– 918, London, 1898, pp. 462– 463.

(١٤) ليدوبراند أسقف كريمونا: ولد ليدوبراند في مدينة بافيا بشمال إيطاليا عام ٩٢٠م، وانحدر من عائلة غنية ومتعلمة على علاقة وثيقة بالبلاط الملكي اللمباردي في بافيا. وقد عمل ليدوبراند منذ عام ٩٤٥م سكرتيرًا ومستشارًا لدى برينجار الثاني الذي أوفده إلى القسطنطينية عام ٩٤٩م في سفارة إلى الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع لمناقشة أمر التحالف مع بيزنطة. تم تعيينه أسقفًا لمدينة كريمونا من قبل أوتو الأول عام ٩٦١م. وترك ليدوبراند ثلاثة أعمال: كتاب الانتقام، وكتاب أعمال أوتو الأول، وكتاب السفارة، تم جمعها في كتاب واحد أطلق عليه "أعمال ليدوبراند الكريموني".

للمزيد انظر: مصطفى فوزي إسماعيل: دور نساء البلاط الألماني في الحياة السياسية والاجتماعية إبان عصر الأسرة السكسونية (٩١٩– ١٠٢٤م)، رسالة ماجستير غير منشورة، بكلية الآداب جامعة الفيوم، ٢٠١٧م، ص ص ١٠– ١١.

(15) Liudprand of Cremona: The Complete Works of Liudprand of Cremona, Trans by Paolo Squatriti, Washington, 2007, p. 57., Arnaldi: Berengario I, p. 9.

(16) Desodoards (F.): Histoire d'Italie, depuis la chute de la République romaine jusqu'aux, Tome 2, Paris, 1803, p. 338., Muratori (L. A.): Annali D'italia Ed Altre Opere Varie, Vol. 2, Milano, 1838, p. 493., Falconieri: Gui do, p. 357.

(17) Panegyricus Berengarii Imperatoris, p. 189., Dummler: Gesta Berengarii, p. 19., Liudprand of Cremona: The Complete Works of Liudprand of Cremona, p. 58., Comyn (S. R.): The History of the Western Empire From Its Restoration by Charlemagne to the Accession of Charles V, Vol. 1, London, 1841, p. 80.

نور الدين حاطوم: تاريخ العصر الوسيط في أوربة، ص ٢٣٧.

يعلق Muratori على تتويج برنجار قائلًا: " ولكن لم يجمع كل أمراء إيطاليا وشعبها على انتخاب برينجار. ولم تمنحا دوقيتي سبوليتو كاميرينو برينجار موافقتهما على انتخابه، ولم ترغبا في الاعتراف به كملك، حتى تم الاعتراف بجيدو

كملك بعد عودته من فرنسا".

Cf: Muratori: Annali D'italia, p. 494.

(18) Desodoards : Histoire d'Italie, pp. 338- 339.

(19) Falconieri: Guido, p. 357. Fliche: Histoire du Moyen Âge, p. 7., Delogu: Lombard and Carolingian Italy, p. 316.

(20) Panegyricus Berengarii Imperatoris, p. 193., Annales Vedastini, p. 203., Falconieri: Guido, p. 357.

(21) Liudprand of Cremona, p. 59.

(22) Liudprand of Cremona, p. 59., Muratori: Annali D'italia, p. 494.

(23) Annales Vedastini, p. 204., Oman: The Dark Ages, p. 463., Comyn: The history of the Western Empire, p. 82.

(24) Delogu: Lombard and Carolingian Italy, p. 315., Wickham: Early Medieval Italy Central Power and Local Society, p. 170.

(25) Dummler: Gesta Berengarii, pp. 21- 25.

(26) Falconieri: Guido, p. 357.

(27) The Annals of Fulda, p. 117., Falconieri: Guido, p. 357., Villari: Medieval Italy, p. 45.

(28) Muratori: Annali D'italia, p. 495.

(29) Falconieri: Guido, p. 357., Desodoards : Histoire d'Italie, p. 341., Fliche: Histoire du Moyen Âge, p. 7., Muratori: Annali D'italia, p. 496.

(٣٠) تريبيا: نهر يقع في شمال إيطاليا، ويمتد من شمال شرق جنوة ويتدفق على بعد ٧٠ ميلًا شمال شرق وينضم إلى نهر بو بالقرب من بياتشينزا.

Cf: Lemberg: Encyclopedia of Historic Places, p. 1318.

(31) Reginonis Chronicon, in MGH, Tom. 1, edited by Pertz, Hannover, 1826, p. 598., Liudprand of Cremona, p. 59., The Annals of Fulda, p. 119., Fliche: Histoire du Moyen Âge, p. 8., Desodoards: Histoire d'Italie, p. 341.

(٣٢) نور الدين حاطوم: تاريخ العصر الوسيط في أوربة، ص ٢٣٨.

(33) Annales Vedastini, p. 204., Poupardin: The Carolingian Kingdoms, p. 65.

(34) Sergi: The Kingdom of Italy, p. 348., Villari: Medieval Italy, p. 45.

(35) Falconieri: Guido, p. 358.

(36) Annales Vedastini, p. 204., Poupardin: The Carolingian Kingdoms, p. 65., Villari: Medieval Italy, pp. 46- 47.

(٣٧) البابا فورموزوس: ولد البابا فورموزوس عام ٨١٦م، وخدم في مناصب مهمة في عهد نيكولاس الأول وهادريان الثاني، تولى أسقف بورتو في عام ٨٦٤م. ثم أرسله البابا نيكولاس الأول إلى بلغاريا عام ٨٦٨م من أجل تنصير المملكة

البلغارية. وتم عزل فورموزوس وطرده من قبل البابا حنا الثامن عام ٨٧٦م، بتهمة التآمر مع ملك بلغاريا. ولكن بعد اغتيال حنا الثامن تم اسقاط جميع التهم عن فورموزوس، وتم تعيينه مرة أخرى أسقفًا لمدينة بورتو، حتى تولى عرش البابوية في عام ٨٩١م. وتوفى البابا فورموزوس في ٤ ابريل عام ٨٩٦م.

Cf: Mann: The Lives of the Popes, p. 66., Moore: The Body of Formosus, pp. 284- 285., Western (A.G.): At the Edges of Empires: Ecclesiastical Frontiers and the Defense of Byzantine Italy in the Pre-Norman Period, 880-1018 A.D., 2017, p. 73.

(38) Liudprand of Cremona, p. 67., Fliche: Histoire du Moyen Âge, pp.11- 12.

(39) The Annals of Fulda, p. 129., Falconieri: Guido, p. 360.

(40) Arnaldi: Berengario I, p. 16.

(41) Liudprand of Cremona, p. 67.

(42) Dummler: Gesta Berengarii, p. 32., Arnaldi: Berengario I, p. 17.

(43) Fliche: Histoire du Moyen Âge, pp.41- 42.

(44) Villari: Medieval Italy, p. 51.

(45) Liudprand of Cremona, p. 70.

(46) Fliche: Histoire du Moyen Âge, p.43., Orton: Italy in the tenth Century. In C. M. H, Vol. 3, Cambridge, 1922, p. 148.

(47) Liudprand of Cremona, p. 70., Arnaldi: Berengario I, p. 18., Bougard (F.): Charles le Chauve, Bérenger, Hugues de Provence: action politique et production documentaire dans les diplômes à destination de l'Italie, Zwischen Pragmatik und Performanz: Dimensionen mittelalterlicher Schriftkultur, ed. by Christoph Dartmann, Turnhout, 2011, p. 70.

(48) Feller (L.): L'exercice du pouvoir par Bérenger 1 er Roi d'Italie (888-915) and Empereur (915-924), medieval 58, 2010. P. 130, 135, 136.

(49) Delogu: Lombard and Carolingian Italy, in N. C. M. H, Vol. 2, Cambridge, 1995, p. 315.

(50) The Annals of Fulda, p. 115.

(51) Procter (C): The History of Italy, from the fall of the western Empire to the Commencement of the wars of the French Revolution, London, 1844, p. 8.

لم تكن الكراهية الشخصية والصراع بين برينجار وجيدو وليدة فترة شغور العرش الإيطالي بعد خلع شارل السمين، وإنما كان هناك محاولة للصدام المسلح بين الطرفين قبل ذلك، تعود إلى عام ٨٨٣م، عندما تمرد جيدو ودخل في صراع مع الإمبراطور شارل السمين فقد على إثره جيدو دوقية سبوليتو بعد أن نجح الإمبراطور في أسره وأطاح به من الدوقية عام ٨٨٣م. ولكن نجح جيدو في الهروب من السجن واستعادة السيطرة على سبوليتو بمساعدة عصابة من المسلحين. ولذلك كلف الإمبراطور شارل برينجار بقيادة الجيوش الإمبراطورية والتخلص من جيدو، ولكن قبل أن يبدأ برينجار في تنفيذ المهمة الموكلة إليه ضرب الطاعون قواته وتسبب في فشل الحملة. ونجح جيدو في عام ٨٨٥م في عقد سلام مع

الإمبراطور. ولكن نشأت كراهية بينه وبين برينجار لا يمكن اخفاؤها، تم تغذيتها بعد ذلك بسبب طموح كليهما من أجل الحصول على التاج الإيطالي.

Cf: The Annals of Fulda, p. 107., Villari (P.): Medieval Italy, p. 45., Fliche (A.): Histoire du Moyen Âge, p. 7.

(٥٢) نور الدين حاطوم: تاريخ العصر الوسيط في أوربة، ص ص ٤٦٥- ٤٦٦.

(53) Sergi: The Kingdom of Italy, p. 350.

(54) Wickham: Early Medieval Italy Central Power and Local Society, p. 172.

(٥٥) سعيد عبد الفتاح عاشور: تاريخ أوربا في العصور الوسطى، ص ٢٧٨.

(56) Mann: The Lives of the popes, p. 50.

(57) Poupardin: The Carolingian Kingdoms, p. 218., Gregorovius: History of the city of Rome, p. 218.

(٥٨) نيفين ظافر حبيب: الأوضاع الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية في الغرب الأوروبي، ص ٦٧.

(٥٩) مفيد الزبيدي: موسوعة تاريخ أوربا المعاصر، ج١ (تاريخ أوربا في العصور الوسطى ٤٧٦- ١٥٠٠م)، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٩م،، ص ٢٣٩.

(60) The Annals of Fulda, p. 129., Falconieri: Guido, p. 360.

(61) The Annals of Fulda, p. 117., Arnaldi: Berengario I, p. 13., Falconieri: Guido, p. 357., Oman: The Dark Ages, p. 468.

يعلق ليدوبراند على تلك المقابلة قائلًا: "في ذلك الوقت، وبعد أن أدرك برينجار صعوبة مقاومة جيدو، نتيجة لقلة أعداد جيشه، قرر الحصول على مساعدة الملك الألماني، واعدًا إياه بأن يظل هو وورثته خدم مخلصين له، إذا تمكن من مساعدته في التغلب على جيدو والحصول على حكم المملكة الإيطالية".

Cf: Liudprand of Cremona, p. 59.

(62) The Annals of Fulda, pp. 125- 126., Falconieri: Guido, p. 360.

(63) Muratori: Annali D'italia, p. 498.

(64) Liudprand of Cremona, p. 61., Poupardin: The Carolingian Kingdoms, p. 66., Fliche: Histoire du Moyen Âge, p.12.

(65) Liudprand of Cremona, p. 61., Fliche: Histoire du Moyen Âge, p.12.

(66) Liudprand of Cremona, p. 61., The Annals of Fulda, pp. 126- 127., Arnaldi: Berengario I, p. 15

(67) Dummler: Gesta Berengarii, p. 32.

(68) Fliche: Histoire du Moyen Âge, p.13.

(69) Liudprand of Cremona, p. 61., The Annals of Fulda, p. 127, Arnaldi: Berengario I, p. 16.

(70) Desodoards : Histoire d'Italie, pp. 346- 347., Poupardin: The Carolingian Kingdoms, p. 66.

(71) Gregorovius: History of the city of Rome, p. 219.

(72) Liudprand of Cremona, p. 63., The Annals of Fulda, pp. 131- 132., Arnaldi: Berengario I, p. 16., Desodoards : Histoire d'Italie, pp. 345- 346.

جاء أرنولف إلى إيطاليا عام ٨٩٥م فيما يعرف بالحملة الثانية ظاهريًا لمساعدة البابا، ولكنه كان يأمل في الحقيقة في التخلص من كل من برينجار ولامبرت من الحكم. والحصول على لقب الإمبراطور وحكم إيطاليا.

Cf: Moore: The Body of Pope Formosus, p. 286., Gregorovius: History of the city of Rome, p. 219.

(73) Desodoards : Histoire d'Italie, p. 347.

(74) The Annals of Fulda, pp. 132- 133.

اختلف برينجار مع أرنولف لعدة أسباب منها: عرض البابا التاج الإمبراطوري على أرنولف (أو عندما طلب أرنولف التاج)؛ ولذلك أنهى برينجار تحالفه مع أرنولف بسبب غضبه من ذلك؛ وربما كان ذلك أيضًا ردًا على عدم شعبية أرنولف في إيطاليا.

Cf: Merlo (B.): Pope John X and the End of the Formosan Dispute in Rome, 2018, p. 55.

(75) The Annals of Fulda, p. 133., Gregorovius: History of the city of Rome, p. 220.

(76) The Annals of Fulda, p. 133- 134., Reginonis Abbatis Prumiensis Chronicon cum Continuatione Treverensi, Kurze, Hannoverae, 1890, p. 144., Annales Weissemburgen, in MGH, Tom, 3, Hannover,1839, p. 51., Mann: The Lives of the Popes, pp. 52- 53.

(77) The Annals of Fulda, p. 134., Gregorovius: History of the city of Rome, pp. 222- 223., Mann: The Lives of the Popes, p. 53.

لم يقف تأثير الانقسام السياسي في إيطاليا على السلطة الملكية فقط؛ وإنما وصل تأثيره إلى العرش البابوي، والدليل على ذلك أنه عند وفاة البابا ستيفن الخامس حدث انقسام في روما من أجل تعيين البابا الجديد؛ فهناك جزء من الرومان مدعوم من قبل جيدو ولامبرت سبولتو ومارجراف توسكانا يرغبون في تعيين سرجيوس في العرش البابوي؛ في حين أن هناك فريقًا آخر مدعومًا من قبل الملك الألماني أرنولف وبرينجار يرغبون في تعيين فورموزوس في العرش البابوي. نجحوا بالفعل في إخراج سرجيوس من المذبح وتنصيب فورموزوس عام ٨٩١م، ورغم ذلك لم يستسلم سرجيوس، ولم يفقد الأمل في تولي العرش البابوي. بعد خروج أرنولف ووفاة البابا فورموزوس سار سرجيوس إلى أدالبرت مارجراف توسكانا، وطلب مساعدته من أجل تولى العرش البابوي. وهو ما حدث بالفعل.

Cf: Liudprand of Cremona, pp. 63- 63., Fliche: Histoire du Moyen Âge, p.42., Villari: Medieval Italy, pp. 48- 49., Moore: The Body of Pope Formosus, pp. 277- 278.

(78) Annales Lobienses, in MGH, Tom. 2, edited by Pertz, Hannover, 1829, p. 210., Liudprand of Cremona, pp. 64- 65., The Annals of Fulda, p. 134., Desodoards: Histoire d'Italie, pp. 348- 349.

(79) Poupardin: The Carolingian Kingdoms, p. 66.

(80) Oman: The Dark Ages, p. 465.

(٨١) مفيد الزيدي: موسوعة تاريخ أوربا الحديث، ص ٢٣٩- ٢٤٠.

(٨٢) سعيد عبد الفتاح عاشور: تاريخ أوربا في العصور الوسطى، ص ٢٧٩.

(٨٣) الهنغاريون: قبيلة من البدو الفينو- أوجريان Finno- Ugrian، يعود أصلهم إلى أسيا الوسطى؛ حيث كانوا يعيشون عيشة بدوية -وهم المجر، الذين أطلق عليهم فيما بعد اسم الهنغاريين- اعتمدوا فيها على الخيل في حلهم وترحالهم وبرعوا في الحروب الخاطفة التي شنوها على خصومهم. دخلوا أوربا في بداية القرن التاسع الميلادي، وأقاموا حوالي ٨٦٠م بين نهري الدون والدنيبر؛ حيث حاول أسقف بانونيا آنذاك تحويلهم إلى الديانة المسيحية؛ لكنه فشل في ذلك. وتخلى هؤلاء الهنغاريون -بسبب هجوم بعض القبائل البدوية الأخرى- عن مقرهم في شرق أوربا -على البحر الأسود- وزحفوا سنة ٨٩٦م نحو السهول الواقعة بين الكربات والدانوب، وهي المنطقة التي نسبت إليهم وعرفت باسم هنغاريا أو المجر.

Cf: Bakay (K.): Hungary, in N.C.M.H, Vol. 3, Cambridge, 1999, p. 536.

سعيد عبد الفتاح عاشور: أوربا في العصور الوسطى، ص ٢٨٠.، موريس كين: حضارة أوربا في العصور الوسطى، ترجمة قاسم عبده قاسم، القاهرة، ط ١، ١٩٩٤م، ص ٤١.، نور الدين حاطوم: تاريخ العصر الوسيط في أوربة، ص ص ٢٤٥- ٢٤٦.

(84) Gubcsi (L.): 1000-1100 years ago… Hungary in the Carpathian Basin, 2011, p. 16., Rona (A.): Hungarians and Europe in the Early Middle Ages: An Introduction to Early Hungarian History, Budapest, 1999, pp. 336- 337.

(85) Rona: Hungarians and Europe in the Early Middle Ages, p. 262.

(٨٦) سعيد عبد الفتاح عاشور: تاريخ أوربا في العصور الوسطى، ص ٢٨٠.

استعان الملك الألماني أرنولف بالمجريين من أجل قمع تمرد زوينتيبولد؛ ملك مورافيا، وبالرغم من نجاحه في القضاء على التمرد بواسطة حلفائه، فإنه قد تسبب في لعنة كبيرة على الدول المجاورة؛ فخلال حياة أرنولف كبح الخوف أو الصداقة تجاوزات المجريين، ولكن بعد وفاته عام ٨٩٩م، عبر هؤلاء البرابرة جبال الألب، واندفعوا إلى إيطاليا وخربوها.

Cf: Comyn: The History of the Western Empire, p. 83.

(87) Liudprand of Cremona, pp. 80- 81., The Annals of Fulda, p. 141., Comyn: The History of the Western Empire, p. 84.

(88) Fliche: Histoire du Moyen Âge, pp. 43- 44.

(89) Liudprand of Cremona, p. 81., Desodoards : Histoire d'Italie, p. 357., Arn: Berengario I, p. 19.

(90) Liudprand of Cremona, pp. 82- 84., The Annals of Fulda, p. 141., Comyn: The History of the Western Empire, p. 84., Fliche: Histoire du Moyen Âge, p. 44.

(91) Gregorovius: History of the city of Rome, p. 223.

(92) Mann: The Lives of the Popes, p. 16.

(93) Bakay: Hungary, p. 542.

(٩٤) لويس بروفانس: لويس الثالث من بروفانس ابن بوسو، حفيد الإمبراطور لويس الثاني، وكان لديه شرعية كارولنجية بذلك.

Cf: Liudprand of Cremona, p. 90.

(95) Liudprand of Cremona, p. 91., Poupardin: Le Royaume de Bourgogne, Paris, 1907, p. 36., Poupardin (R.): Le Royaume de Provence sous les Carolingiens (855- 933), Paris, 1901, pp. 164- 165.

(96) Liudprand of Cremona, p. 91., Poupardin: Le Royaume de Provence, p. 165., Wickham: Early Medieval Italy. P. 171., Gregorovius: History of the city of Rome, pp. 236- 237.

(97) Poupardin: Le Royaume de Provence, pp. 170- 173., Fliche (A.): Histoire du Moyen Âge.Tom 2, L'Europe occidentale de 888 à 1125, Paris, 1930, p. 49., Bougard: Charles le Chauve, Bérenger, Hugues de Provence, 72.

(98) Poupardin: Le Royaume de Provence, pp. 180- 181.

(99) Liudprand of Cremona, p. 91., Orton: Italy in the tenth Century, p. 149., Mann: The Lives of the Popes, p. 105.

(100) Liudprand of Cremona, pp. 91- 92.

تقع مسئولية الاستدعاء الإيطالي الثاني للويس بروفانس إلى إيطاليا على عاتق أدالبرت ماركيز توسكانا وزوجته البرجندية برثو، وهي إمرة طموحه لها سلطة على زوجها. وكان لها دور كبير بعد الشجار الذي حدث بين زوجها وبرينجار، في حثه والأمراء الإيطاليين على استدعاء لويس مرة أخرى.

Cf: Poupardin: Le Royaume de Provence, p. 181.

(101) Reginonis Chronicon, 610., Villari: Medieval Italy, p. 54., Mann: The Lives of the Popes, p. 105.

(102) Poupardin: Le Royaume de Provence, p. 182.

(103) Desodoards: Histoire d'Italie, pp. 357- 359.

(104) Liudprand of Cremona, p. 92., Desodoards: Histoire d'Italie, pp. 359- 361.

(105) Liudprand of Cremona, p. 93., Poupardin: Le Royaume de Provence, pp. 185- 186.

(106) Poupardin: Le Royaume de Provence, p. 188.

(107) Poupardin: Le Royaume de Provence, p. 189.

(108) Panegyricus Berengarii Imperatoris, pp. 207- 208., Gregorovius: History of the city of Rome, p. 248.

تعددت الأسباب التي أدت إلى سوء موقف برينجار أمام الأمراء الإيطاليين بعد خروج لويس بروفانس من إيطاليا، ولعل أبرزها، هزيمة برينجار أمام المجريين، وقلة الأراضي التي يسيطر عليها، كما أن سيطرته على لويس لم تكن نابعة عن قوته، وإنما عن طريق الخيانة. وأخيرًا استمرار التهديدات المجرية على إيطاليا. Cf:

Villari: Medieval Italy, pp. 54- 55.

(109) Desodoards : Histoire d'Italie, p. 361.

(110) Poupardin: Le Royaume de Bourgogne, p. 35., Fliche: Histoire du Moyen Âge, pp. 49- 50.

(111) Villari: Medieval Italy, p. 59.

اختلف المؤرخين في توقيت تتويج برينجار إمبراطورًا، هل حدث قبل معركة جرجيليانو، أو بعدها؟ يقول البعض أنه حدث قبل المعركة، ولذلك استطاع البابا حثه على تقديم المساعدة في تلك الحملة. في حيث يؤكد آخرون أنه حدث بعد المعركة وتم منح التاج له من قبل البابا كمكافأة للمساعدة التي قدمها في المعركة. ويميل الباحث إلى الأخذ بالرأي الثاني، لأنه لم تذكر لنا المصادر الدور الذي لعبه برينجار في التحالف المسيحي ضد مسلمي جرجيليانو. وربما لم يشارك برينجار في تلك المعركة ولا المناوشات التي حدثت قبلها. وأن التتويج تم كمكافأة له على القوات التي دعم بها التحالف في الحرب.

Cf: Villari: Medieval Italy, p. 60., Merlo: Pope John X, p., 34.

(112) Panegyricus Berengarii Imperatoris, p. 209., Feller: L'exercice du pouvoir par Bérenger 1 er Roi d'Italie, p. 132.

(113) Villari: Medieval Italy, p. 61.

(114) Gregorovius: History of the city of Rome, pp. 271- 272.

(115) Liudprand of Cremona, p. 100., Poupardin: Le Royaume de Bourgogne, p. 37., Fliche: Histoire du Moyen Âge, p. 50.

(116) Liudprand of Cremona, pp. 101- 102.,Poupardin: Le Royaume de Bourgogne, pp. 39- 40., Romei (D.): Triumph of Survival: The Origins of Hungary's Foreign Policy, 890-1038, 2001, p. 25.

عندما تم القبض على مجموعة من النبلاء الإيطاليين المتمردين عام ٩٢٣م ضد الإمبراطور برينجار، أطلق برينجار سراح البعض منهم دون الحصول على أي قسم رسمي للولاء، قائلًا: " ألزمكم بإخلاصكم، بأنه إذا فعلت أحدكم شرًا بي، فسوف يحصل على جزاءه من الله".

Cf: Ward (I. S.): The Oath of Loyalty and the Post-Carolingian Transformation, c.830-1000, 2018, pp. 189- 190.

(117) Poupardin: Le Royaume de Bourgogne, p. 31., Halphen (L.): The Kingdom of Burgundy, in C. M. H., Vol. 3, Cambridge, p. 136.

(118) Halphen: The Kingdom of Burgundy, p. 136.

(119) Liudprand of Cremona, pp. 102- 103., Poupardin: Le Royaume de Bourgogne, p. 41.

(120) Liudprand of Cremona, p. 103.

(121) Villari: Medieval Italy, p. 61.

(122) Nowak: Imperial Aspirations in Provence and Burgundy, p. 144.

(123) Liudprand of Cremona, pp. 104- 107., Panegyricus Berengarii Imperatoris, p. 210., Villari: Medieval Italy, p. 62.

(124) Bougard: Charles le Chauve, Bérenger, Hugues de Provence, 66.